التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 150 السنة الثامنة عشر - مايو 2020

موقفنا

فعالية الوعي المجتمعي

تُظهر مواجهة شعب البحرين لجائحة كورونا، ما عليه شعبنا من وعي وإحساس عالٍ بالمسؤولية، حيث نجد استجابة واسعة النطاق من المواطنين للتوجيهات والتعليمات التي تصدرها الجهات الصحية والإدارية في الدولة، أكانت على شكل تقيّد بالإجراءات الصحية المطلوبة، أو التزام بالتدابير الحياتية الأخرى، بما في ذلك شكّل التسوق في الظروف المستجدة، أو في التفاعل مع الفريق الوطني الطبي الذي يدير مواجهة تفشي الفيروس باقتدار.

ورغم بعض السموم التي تبث من أقلية منبوذة، سيئة الخلق ومغرضة المرامي، على بعض مواقع التواصل الاجتماعي، يروق لأفرادها بث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد، وإيقاظ النزعات المذهبية التي بذل البحرينيون جهوداً كبيرة لتخطي آثارها المَرضية التي عانى منها الوطن والمجتمع، فإن ما يدعو للاعتزاز أن هذه السموم، كما اصحابها، باتت مكشوفة، ولا تجد الأذن الصاغية من غالبية المواطنين، الذين يدركون أهمية أن معركتنا هي مع الفيروس الفتّاك، الذي لا يفرق بين طائفة وأخرى، أو بين فئة وأخرى، فالجميع هدف له، وكلنا متحدون في مواجهته.

أشاد البيان المشترك بين جمعيتي المنبر التقدمي والتجمع القومي بالإجراءات التي اتخذتها الدولة للتصدي لتفشي الوباء، الجديرة بالثناء، وكذلك وبالجهود الوطنية العالية التي تبذلها كافة الكوادر المعنية وخاصة الكوادر الطبية والصحية، التي تواصل عملها بمثابرة ودأب على مدار الساعة، من أجل حصر حالات الإصابة، وعلاج المصابين، والتقليل، ما أمكن، من الخسائر الناجمة عن الوباء.

وليست الروح الوطنية الجامعة لكافة فئات المجتمع في البحرين بأمر جديد أو طارىء، فتاريخنا يشهد على الكثير من هذه المواقف، خاصة عند المحن، وهاهي تعيد التعبير عن نفسها، في الكثير من الصورالمبدعة والمسؤولة، ولا شك أن هناك الكثير من الخطوات والتدابير التي من شأنها تعزيز هذه الروح، وفي مقدمتها، كما أوضح البيان، توسيع شبكة الدعم المالي والعيني المباشر وغير المباشر لفئات العاملين البحرينيين الذين لم تطالهم إجراءات الدعم، خاصة الواقعين خارج العمل المهيكل بكافة فئاتهم، مع تحميل جزء من أعباء ذلك على شركات القطاع الخاص المقتدرة، أو توجيه جزء من حصيلة تبرعات الحملة الوطنية لتحقيق ذلك، إضافة إلى توفير الضمانات القانونية التي تحول دون انتقاص الحقوق المكتسبة للمواطنين، وعلى رأسها الحق في العمل وضمان استدامته، وتأمين الرعاية الصحية والاجتماعية بصورة مستدامة.

التقدمي

رافضًا المساس بأموال وحقوق العمال والحملة العنصرية ضد العمالة المهاجرة

«التقدمي» بمناسبة الأول من مايو: آن أوان معالجة اختلالات سوق العمل

أصدر المنبر التقدمي بياناً بمناسبة عيد العمال العالمي، الأول من مايو، وجه فيه التحية وعظيم التقدير لعمال البحرين والعالم، وقال أن هذا اليوم مناسبة أممية للتضامن مع الطبقة العاملة في كفاحها المشترك ضد صنوف الاستغلال وسعيها لتحقيق العدالة الاجتماعية.

وأشار التقدمي إلى أن وضع العمالة الوطنية في أسوأ حالاته، وكذلك الحال بالنسبة للحركة العمالية، كما أبدى رفضه القاطع من أي مساس بأموال وحقوق العمال، مشيراً إلى ملف التأمينات الاجتماعية ومشدداً على أهمية وخطورة هذا الملف ومن مغبة تراكم العجز الاكتواري.

وأشار المنبر التقدمي إلى أن هذه المناسبة تأتي في ظل تداعيات كارثة وبائية كشفت عن أوضاع بالغة السوء تمس آدمية الإنسان تعيشها العمالة المهاجرة، رافضاً بشدة حملة الكراهية والعنصرية من قبل البعض تجاه هذه العمالة.

وفيما يلي نص البيان:

بمناسبة الأول من مايو – عيد العمال العالمي نحيي الطبقة العاملة البحرينية وحول العالم ونحتفي بها في ظروف صعبة واستثنائية تمر بها البشرية جمعاء في ظل انتشار جائحة كورونا كوفيد 19 المستجد. وفي هذا الظرف الصعب نعبر عن بالغ تقديرنا للقوى العاملة التي تقف في الصفوف الأمامية للتعامل مع هذه الجائحة من كوادر طبية وتمريضية والمهن المساندة، إلى جانب العمال في المهن الأخرى التي توفر لبقية البشر ضروريات الحياة والذين يعرضون أنفسهم وعوائلهم للخطر المباشر مقدمين جُلَّى التضحيات.

وبات واضحاً أن النظم الرأسمالية / النيوليبرالية تقف عاجزة عن تقديم الحلول والخدمات للبشرية. فأولوياتها كانت دائما خدمة وتعظيم رأس المال لا بناء الإنسان والبنية التحتية التي تخدم الأغلبية الشعبية من كادحي العمل والفكر، والفئات الضعيفة من شيخوخة وطفولة وعجزة وفقراء من خلال تقديم الدولة الخدمات الأساسية من تعليم وتطبيب ورعاية اجتماعية. إن فشل هذا النظام يتجلى بشكل واضح أمام البشرية، ولابد من العمل على تغيير هذا الواقع من خلال تكاتف العمال والفقراء للتأسيس لنظام اقتصادي اجتماعي عالمي يضعهم ومصالحهم على رأس الأولويات.

محلياً، نرى أن التعامل الحكومي مع أزمة كورونا كوفيد 19 المستجد بدأ مبكراً وهذا ما نثني عليه. وقد اتخذت قرارات جريئة أثبتت وجاهتها وتميزت مقارنة بالعديد من دول العالم، إلا أننا نرى العديد من النواقص بالأخص في حماية العمال في مواقع العمل والتعامل مع وضع سيئ ومتراكم لسنين كانت الجهات الرسمية تغض الطرف عنه.

فالعديد من الشركات الصناعية الكبيرة منها والصغيرة وشركات المقاولات وغيرها من المهن التي تتطلب تركزاً عالياً للعمالة – المحلية والمهاجرة – تتراوح بين أنظمة صحة وسلامة شكلية إلى عدم وجود أي منها. وما يدل على ذلك عدد الوفيات والإصابات السنوية من خلال حوادث العمل. إلا أن هذه الجائحة عرَّت الظروف السيئة التي يعيشها العمال داخل المنشأة. والأدهى ظروف السكن غير الآدمي والبشع الذي يوفره صاحب العمل للعمالة المهاجرة من خلال تكدّس وكثافة عالية في الغرف تفقد الإنسان آدميته ناهيك، عن قلة المرافق الصحية نسبة إلى عدد العمال في السكن ونؤكد أن هذه ظروف غير مقبولة وصلنا إليها بسبب جشع أرباب العمل وغض الطرف من الجهات الرسمية وبالأخص وزارة العمل.

والواقع يثبت عدم تطبيق القرار رقم (40) لسنة 2014 بشأن اشتراطات ومواصفات مساكن العمال والذي نص على أن ألا تقل المساحة المخصصة لكل عامل عن أربعة أمتار مربعة من المساحة الخالية في الغرف المخصصة لمساكن العمال. إلا أن الواقع يقول العكس، فالعمال مكدسون ولا يمكن تطبيق التباعد الاجتماعي ولم يكن هناك أي تطبيق لهذا القرار. والشاهد فتح المدارس مؤقتاً لإيواء العمالة وفق مبدأ التباعد الاجتماعي حماية لهم وللمجتمع. ونؤكد هنا على أهمية فتح هذا الملف على مصراعية ووضع أصحاب العمل أمام مسئولياتهم في توفير بيئة عمل صحية وسليمة وسكن لائق للعمال بالإضافة إلى وضع الجهات الرسمية أمام مسئولياتها وخصوصاً وزارة العمل في الحرص على تطبيق القرارات ذات العلاقة والرقابة على استمرارية تنفيذها.

وظهرت للعلن حملة كراهية وعنصرية ضد العمالة المهاجرة تتهمها بالمسئولية عن انتشار فايروس كورونا وتوالت الاتهامات المختلفة بشكل مشابه لحملات الكراهية العنصرية اليمينية الغربية – والتي تمارس ضد العرب أيضاً هناك. هنا نؤكد رفضنا لهذه الحملات وأن السبب الأساسي الذي لا يعيه من هم وراء هذه الحملات أن كل ما يرون من مظاهر هي نتاج لسياسيات العمل المنتهجة من الحكومة وأصحاب الأعمال من خلال تفضيل العمالة المهاجرة على العمالة الوطنية وهذا ناتج عن عدم وجود حد أدنى للأجر يؤمن للعامل المهاجر حدا أدنى من الحياة الآدمية المقبولة مما ينتج عبودية حديثة يقبل بها العمال المهاجرون بدلاً من الفقر المدقع. وهذا مثال من جملة القوانين والقرارات أو عدم النظم (عدم وجود قانون للحد الأدنى للأجور مثلاً) والتي تشكل سياسة العمل وهي التي انتجت اختلالاً في سوق العمل وليس العمالة المهاجرة ذاتها.

وفي ذات السياق نرى أن وضع العمالة الوطنية في أسوأ حالاته وذلك نتاجاً لإلغاء برامج البحرنة وتصريح العمل المرن وتبعاته وسلبياته وغياب الضوابط لتحصيل الأجور وعشرات العناوين الأخرى.

وهنا نؤكد أن سياسة العمل المنتهجة منذ مشروع مكنزي وحتى اليوم والمبنية على تحرير السوق والسياسات النيوليبرالية هي المسؤول الأكبر عن اختلال سوق العمل والبطالة وتردي الوضع الإقتصادي للمواطنين والعوائل وهذا ما يجب مجابهته ومحاربته وإصلاحه. وهذه الجائحة وما أنتجته لأكبر دليل على ما نقوله ودائما ما رددناه، لا مناكفة للحكومة بل بناء على فكر اقتصادي اجتماعي نحمله يؤكد لنا أن هذه هي النتيجة الحتمية لمشروع بهذا التوجه. نؤكد مجدداً على أوان الوقت للوقوف ومراجعة هذا النهج وتعديل سياسات العمل بما يصحح الميزان المائل لصالح أصحاب العمل على حساب العمال.

وتعليقاً على التعديل على قانون التأمين ضد التعطل لتمويل رواتب المواطنين لمدة ثلاثة أشهر فإننا من حيث المبدأ نقف ضد المساس بأموال العمال، إلا أن هذ التعديل يعتبر خطوة وقائية لحماية العمال من الفصل من العمل جراء تضرر الأعمال بسبب جائحة كورونا. وبذلك يخدم الهدف الأساسي من القانون ذاته وهو توفير الحماية الاجتماعية للعمال المتضررين من الفصل، إلا أننا نتساءل عن عدم تضمن القانون مواد لحماية العمال من الفصل بعد انقضاء مدة الدعم والفائدة من دعم بعض القطاعات غير المتضررة، بل أن بعضها منتفع وازدادت أعمالة نتيجة الحاجة إلى المنتجات الصحية والمواد الغذائية وغيرها. وغفل القانون أيضاً عن فئات متضررة بشكل كبير مثل غير المنضوين تحت مظلة التأمينات كسواق سيارات الأجرة وباصات نقل الركاب وأصحاب المهن، وغفل أيضاً أصحاب المهن الحرة المؤمنين اختيارياً كالمحامين والأطباء وغيرهم، ولم يلتفت القانون إلى البحرينيين العاملين في الدول الشقيقة كالمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة والكويت من غير القادرين على الالتحاق بأعمالهم.

في ملف التأمينات الاجتماعية، نذكر بأن العجز الاكتواري يكبر ويتراكم يوماً بعد يوم دون أي جهود لإيقافه وتصحيح الوضع – وهذا ما طالبنا به منذ كشف الحكومة للعجز المتكون منذ أكثر من عقد – ولم نر أي تحرك باتجاه إصلاح العجز الاكتواري حتى بعد إرجاع عضوية العمال – ممثلين في الاتحادين العماليين وآخر تختاره الدولة – وكل ما يحصل أن كل عام تسرب الحكومة مقترحاً – وكل مقترح أسوأ من سابقه – فينتفض المجتمع في وجه هذه التعديلات حتى يتم التراجع عنها فبقي الملف معلقاً. نرى في المنبر التقدمي وجوب الإلتفات إلى هذا الملف المهم، فهو يشكل مستقبل العمال وهو أحد ضمانات السلم الأهلي والحافظ لكرامة المتقاعدين من العوز والحاجة وهو متكون من مدخراتهم وحقوقهم والمساس به له عواقب وخيمة.

نؤكد على عدم إغفال هذا الملف الحرج والحاجة إلى تشكيل لجنة مشتركة تشمل أطراف الإنتاج الثلاثة من عمال وأصحاب عمل والحكومة بالإضافة إلى المشرع ومتخصصين من أجل إيجاد صيغة إنقاذ للتأمينات الاجتماعية بما يحفظ للعمال حقوقهم.

وفي الجانب النقابي، نرى أن الحركة العمالية تعيش أسوأ أحوالها وفي تردي مستمر وتشظي أكبر وهذا أحد أهم أسباب تردي وضع العمل وسوء سياسات العمل دون مواجهة من طرف العمال ودون تقديم برامج حقيقية وانكفاء أشبه بمحاولة البقاء على وجه الحياة لا غير، والتخلي عن العديد من الملفات العمالية الأساسية مثل النقابات في القطاع الحكومي والنقابات

يتبع

يتبع

القطاعية وغيرها من الملفات. إلا أن ما يبعث على التفائل ملاحظتنا لنشاط عدد من النقابات على مستوى منشآتها وقطاعاتها وأخذهم لدور على المستوى الوطني. وهذا هو المطلوب، خصوصاً في ظل انكفاء الاتحادين. ونؤكد هنا أيضاً أن الاتحادات العمالية وسيلة وليست غاية ويجب على المسئولين بها العمل على هذا الأساس.

ولا يفوتنا هنا الإشادة بدور كتلة «تقدّم» النيابية التي تعمل بقامة اتحاد عمالي من خلال تقديم مصالح العمال في كل مناقشات القوانين المطروحة في البرلمان وتقديم عدد من المقترحات ومشاريع القوانين ولجان التحقيق والأسئلة البرلمانية التي تصب في مصلحة العمال والدفاع عن مكتسباتهم، كما أصبحت الكتلة ملاذاً للعمال المتضررين للدفاع عنهم والحفاظ على أرزاقهم وإرجاع حقوقهم، وهو دور نفتخر به وثقة من العمال والناخبين نعتز بها.

نؤكد مجدداً وبشكل واضح كما أكدنا دائماً؛ أننا ضد التوجه النيوليبرالي الذي تنتهجه الدولة المبني على الخصخصة وتحرير السوق وانكفاء الدولة إلى دور المراقب والمنظم لا غير، والذي أثبت ويستمر في إثبات فشله عالمياً ومحلياً. ولنا في القطاعات الحكومية التي تم خصخصتها خير مثال، فأغلبها انتقل من أغلبية مطلقة للعمالة البحرينية إلى عدم وجود للعمال البحرينين فيها. وفي ذات الوقت لم نجد الارتفاع في جودة الخدمات التي بشرنا بها المدافعون عن الخصخصة.

إن من المفيد الإلتفات إلى أن الدولة ذاتها – وأغلب دول العالم كذلك – عند مواجهة الجائحة إرتأت أن تأخذ بزمام الأمور والتحكم، وأن لا تتركها للقطاع الخاص وتبقى في موقع المتفرج والمنظم والمراقب، فيما نعتبره درساً لدول العالم – ولا استثناء لنا – للتركيز مجدداً على أهمية قطاع الدولة وما يتمتع به من إمكانيات ضخمة في تعبئة الموارد المادية والبشرية في التنمية ومواجهة التحديات.

ختاماً؛ يؤسفنا أن نحتفي بعيد العمال العالمي عن بعد دون القدرة على التجمع بسبب هذا الظرف واستمرار منع المسيرات منذ 6 سنوات، كما نستذكر المناضلين العماليين التاريخيين الباقيين والراحلين ونعدهم بمواصلة الدرب على مسارهم حتى تحقيق عالم أفضل للكادحين.

عاش الأول من مايو عيداً لعمال البحرين والطبقة العاملة في كل أرجاء العالم، ويوماً للتضامن مع العمال وكفاح الشعوب وفي مقدمتهم الشعب الفلسطيني في نضاله العادل ضد الاحتلال الصهيوني، وضد صفقة القرن من أجل تحرره وقيام دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

المنبر التقدمي
1 **مايو** 2020

فضفضة

تحية إلى الكادر الصحي

عيسى الدرازي

تقدّم الطواقم الصحية العاملة بمختلف قطاعاتها خدمات جليلة وجبارة في مواجهة الوباء الذي حاصر العالم أجمع. فواجب التحية واجبٌ لهذه الأيادي المخلصة التي لم تدخر جهداً من أجل الحفاظ على صحة وسلامة كافة المواطنين والمقيمين على هذه الأرض. وأثمرت هذه الجهود المبذولة ولا زالت عن زيادة مضطردة لحالات المتعافين من الفيروس.

ونحن نقف لتحية الطواقم الصحية والطبية بكل شكر وامتنان وعرفان، لا يمكن إلا أن نفكر فيما لو طرق بابنا هذا الوباء، وكان نظام التأمين الصحي قد تمّ تطبيقه، حيث يمكننا القول بأن الأمور ستتجه إلى لا يحمد عقباه. كان الاتجاه متسارعاً نحو أولى خطوات خصخصة القطاع الصحي، عبر تطبيق نظام التأمين الصحي كخطوة تجريبية ليعتاد عليها الناس قبل المضي قدماً في وقت لاحق لإعلان خصخصة القطاع الصحي صراحة. والخصخصة في حالة القطاع الصحي، تعني تنازل الحكومة عن مسؤولياتها في تقديم الخدمات وتحسينها، وبيعها للقطاع الخاص بحجه قدراته المتطورة في تقديم الخدمات المباشرة للمستفيدين.

فلتكن مواجهة التحديات وتسخير كافة الإمكانيات، والاعتماد على العنصر البشري المحلي هدفاً رئيساً، عوضاً عن الجري خلف القطاع الخاص وتسليمه قطاعات البلد الحيوية، وفي هذه الحالة مارس القطاع الصحي دوراً هاماً ومحورياً في محاصرة انتشار الفيروس وتأمين الطبابة للمصابين ومتابعة المتعافين والمحجور عليهم حتى تنتهي يتم التأكد من خلوهم من المرض.

في المنتدى الفكري السنوي السادس، الذي نظّمه المنبرالتقدمي فبراير الماضي، يقول الباحث الكويتي سالم عادل الشهاب في ورقته التي قدمها بعنوان (قراءة نقدية لبعض المعالجات الاقتصادية الحكومية في دولة الكويت): «إن انتقال أي من القطاعات الأساسية إلى القطاع الخاص، يعني أمرين مهمين: المواطن سيكون في مواجهة مباشرة مع التاجر، والأمر الأخر هو أن الدولة تتخلى بإرادتها عن أداة اقتصادية أساسية». ويشيرالباحث لاحقاً إلى أن الاتجاه نحو تطوير قطاعات حيوية وتحسين تقديم خدماتها للمستفيدين، مواطنين ومقيمين، سيكون بالضرورة عنصر قوة في رفد الموازنة العامة للدولة وتنويع مصادرها وتخفيف الاعتماد على القطاع النفطي».

ويمكننا القول بأننا في اعتمادنا على القاعدة الكبيرة لطواقمنا الطبية في مختلف المجالات وتسخير الاعتمادات المالية اللازمة من أجل تحسين وتطوير بنيتنا التحتية الصحية، سنكون قد ربحنا مرتين، الأولى في ضمان تلقي المواطنين الرعاية الصحية اللازمة والملائمة، والثانية في تسخير البلد لتكون وجهة سياحية طبية من شأنها أن تكون عنصراً إيجابياً في رفد الموازنة العامة للدولة.

«التقدمي» و«القومي» يدعوان إلى توفير الضمانات

للحفاظ على المكتسبات الوطنية في ظل جائحة كورونا

دعت جمعيتا المنبر التقدمي والتجمع القومي في بيان مشترك لهما إلى توفير الضمانات للحفاظ على على مكتسباتنا الوطنية في الظروف الراهنة، حيث تعصف بالعالم «أزمة إنسانية أودت بحياة عشرات الألوف، كان غالبيتهم من الفقراء والطبقات المعدمة الذين حالت ظروفهم دون الحصول على العلاج والحماية الكافية والأمن الصحي المستدام، لتعكس واقع إنساني مرير غابت فيه قيم العدالة والكرامة وأصبح معه جلياً الحاجة الملحة للشعوب الفقيرة والطبقات المعدمة أن تتطلع إلى عالم خال من سيادة السياسات النيوليبرالية الباحثة عن المصالح الأنانية قبل كل شيء، عالم أكثر إنصاف ومساواة تكون فيه الفرص المتاحة قائمة على قدم المساواة أمام الجميع، عالم يعيد توجيه محركاته نحو خدمة الإنسان ورفاهيته والخدمات الأساسية المتصلة بجودة حياته، وإطلاق طاقاته المبدعة وحريته في إبداء رأيه ومشاركته في القرارات التي تتعلق بمصيره، حيث باتت هذه المعايير تحدد مدى صلاحية الحكومات والأنظمة الحاكمة في كافة أرجاء العالم.

وقال البيان المشترك: «إذ تقدر الجمعيتان وتثمنان عالياً حزمة الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية التي أطلقتها الدولة بكافة أجهزتها للمساهمة في حماية الفرد والمجتمع والاقتصاد في مملكة البحرين، التي طالت بنتائجها الإيجابية والمطلوبة شرائح واسعة من المجتمع وأثارت الارتياح البالغ لديها، فلقد بقت هناك شرائح وفئات واسعة أيضاً لا تزال تبحث عن دعم ومساندة وغطاء تأميني، وخاصة أصحاب المهن خارج العمل المهيكل الذين يقتاتون علي عيش يومهم كأصحاب المهن الحرة والمزارعين والصيادين وبائعي الأسماك والخضروات والبرادات وسواق الأجرة وسوق النقل والأسر المنتجة وأصحاب المؤسسات متناهية الصغر وغيرهم العديد».

ولفتت الجمعيتان إلى الإحصائيات التي تفيد «بأن السكان البحرينيين من هم في سن العمل (15 – 60 سنة) يبلغون 483 ألف، في حين أن العاملين في القطاعين العام والخاص 153 ألف، وإذا ما تم استبعاد أيضاً ربات البيوت والطلبة والمتقاعدين ما دون الـ 60، فإن التقديرات تشير إلى وجود نحو 100 ألف بحريني من العاملين ممن لم تطالهم إجراءات الدولة بالتخفيف عن تداعيات تفشي وباء كورونا.

ولاحظت الجمعيتان أنه «وبالرغم من الدعم المقدم للشركات لدفع أجور البحرينيين، فقد بدأت عدد منها في تسريح العمالة الوطنية ولو بأشكال مختلفة، مثل إجبارهم على إجازات غير مدفوعة الأجر أو تقليص الامتيازات التي حظوا بها كنتاج لجهدهم وإنتاجهم، مما يكشف عن جانب من الجشع واللامسؤولية الوطنية لعدد من التجار وأصحاب الأعمال الذين يسعون لاستغلال هذه الأزمة الإنسانية لتحقيق المكاسب الضيقة والأنانية كتقليص امتيازات العمال، والمضاربات في الأسعار وإحجام العديد منهم عن إظهار مسؤوليته الوطنية في التبرعات النقدية والعينية للجهود الوطنية لمكافحة الجائحة.

وتوقفت الجمعيتان عند موضوع العمالة الوافدة، الحلقة الأضعف في هذه الجائحة، «فاليوم تتكشف وأكثر من أي وقت مضى جشع شرائح عديدة من أصحاب الأعمال الذي استغلوا هذه الفئة أبشع استغلال في قوت يومهم وأجورهم المتدنية لتحقيق الأرباح الفاحشة، ووضعهم في مساكن خالية من أدنى الاشتراطات الصحية والإنسانية، كما يتكشف الخطأ الفاحش لسياسات الفيزا المرنة والعمالة السائبة التي تقدر بنحو 60 ألف عامل، بعد أن ازدادت الإصابات في صفوفها، مهددة بذلك القدرة التحملية لنظام الرعاية الصحية. وإذ تشيد الجمعيتان بالتعامل الإنساني للدولة مع هذه الفئات، فإنهما تدعوان بقوة إلى محاسبة كافة أصحاب المهن المقصرين في رعاية عمالتهم، وكذلك أولئك الذين سارعوا لتنفيذ سياسات الفيزا المرنة وأيضاً المتهاونين مع العمالة السائبة وعدم التهاون في تحميل هؤلاء كافة المسئولية القانونية والجزائية لأوزار ونتائج هذه الممارسات والسياسات التي ألحقت أضراراً بالغة بمصالح البلد الاقتصادية والاجتماعية.

وقال البيان «إن الجمعيتين إذ تجددان إشادتهما البالغة بكل الإجراءات التي اتخذتها الدولة للتصدي لتفشي وباء كورونا، والجهود الوطنية العالية التي تبذلها كافة الكوادر المعنية وخاصة الكوادر الطبية والصحية، فإنهما تجددان دعوتهما لتطبيق معايير العدالة الاجتماعية التي ارتضت بها مملكة البحرين، وفي مقدمتها توسيع شبكة الدعم المالي والعيني المباشر وغير المباشر لفئات العاملين البحرينيين الذين لم تطالهم إجراءات الدعم، خاصة الواقعين خارج العمل المهيكل بكافة فئاتهم، مع تحميل جزء من أعباء ذلك على شركات القطاع الخاص المقتدرة أو توجيه جزء من حصيلة تبرعات الحملة الوطنية لتحقيق ذلك، كذلك توفير الضمانات القانونية التي تحول دون انتقاص الحقوق المكتسبة للمواطنين، وفي طليعتها الحق في الأمن الاجتماعي وعلى رأسها الحق في العمل والضمانات التي تؤدي لاستقراره واستدامته.

وختم «التقدمي» و«القومي» بيانهما بالقول: «إذ يتزامن إصدار هذا البيان مع دخول شهر رمضان المبارك الذي نتمنى فيه أن يحل بخيره وبركاته على شعبنا الكريم، وهو بما يجسده من قيم ومعانٍ سامية يشكل فرصة كبيرة لتوطيد روح التراحم والعفو والإخاء والإنسانية في المجتمع، ومن هذا المنطلق تجدد الجمعيتان دعوتهما لإطلاق سراح كافة سجناء الرأي، كذلك إطلاق حرية الرأي والتعبير المسؤولة بوصفها الحرية الأصل والأبلغ أثراً في مجال اتصالها بالشؤون العامة خاصة في هذه الفترة التي تقتضي التكاتف والتكامل الاجتماعي والسلام والاستقرار المجتمعي».

بمناسبة السابع من إبريل يوم الصحة العالمي

لجنة البيئة في «التقدمي» تحيي جهود الطاقم الطبي

في بيان بمناسبة السابع من إبريل يوم الصحة العالمي، أكدّت لجنة البيئة في المنبر التقدمي أنها فرصة للتأكيد على ضرورة مراجعة الإجراءات والأنظمة الصحية فى العالم، وتمكين جميع البشر من الرعاية الصحية، إذ من المؤسف أن هناك ملايين من البشر لا زالوا محرومين من أي فرصة للعمل والحصول على الرعاية الصحية اللازمة، وكذلك من احتياجاتهم اليومية كالغذاء والكساء وحتى المأوى، وهي حقوق ترتكز على العدالة الاجتماعية والإنصاف .

وأضاف البيان: "جاءت جائحة كورونا لتكشف عن الكثير من الحقائق والدروس التي يجب التوقف عندها بمنتهى الجدية لبلوغ ما يجب تحقيقه فى مجالات الصحة والعدالة الاجتماعية ووقف الإنفاق على التسلح والهدر المالي والاهتمام بالبيئة.

وفي الختام قالت لجنة البيئة: "يشدّ التقدمي على أيدي أخوتنا واخواتنا الأعزاء من الكوادر الطبية والمتطوعين الذين استجابوا لحملة "معاً ضد الكورونا"، وكل من انخرط في المبادرات والمواقف الشعبية لمساندة جهود اللجنة الوطنية فى مواجهة هذا التحدي الاستثنائي".

فلاح هاشم يبحث مع وزارة العمل شكاوى العمال والنقابيين

بحث عضو كتلة «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم في إتصال مع وكيل وزارة العمل المساعد أحمد الحايكي، عددًا من الشكاوى والمواضيع التي رفعها بعض العمال والنقابيين حول إقدام بعض الشركات بإجبار مجموعة من عامليها الخروج في إجازات مرضية أو سنوية خلال هذه الفترة التي نمرّ بها من انتشار لفيروس كورونا، رغم اتخاذ الدولة العديد من التدابير التي تجنب الشركات اللجوء لمثل هذه الإجراءات، كتحمل الدولة تكاليف رواتب العاملين البحرينيين في القطاع الخاص لمدة ثلاثة شهور، وهي الفترة الممتدة من (أبريل إلى يونيو).

من جانبه قال الوكيل المساعد لوزارة العمل إن موقف الوزارة واضح وصريح بهذا الشأن، فهي ترفض إخراج أي عامل في إجازة مرضية أو سنوية بالإكراه من قبل أصحاب العمل، وأنه تم التواصل مع العديد من الشركات التي تمّت الإشارة إليها، وأن هناك تجاوبا جيدا من قبلها بهذا الخصوص، وجرى الاتفاق مع تلك الشركات على إرجاع ما تمّ استقطاعه من إجازات هؤلاء العاملين خلال الفترة الماضية.

وبهذا الصدد دعا النائب هاشم جميع العاملين والنقابيين ممن لديهم مثل هذه القضايا والشكاوى إلى ضرورة التواصل مع وزارة العمل وتقديم شكاويهم لها، وعدم التهاون في ذلك، مؤكدا على أن من واجب الوزارة متابعة هذا الموضوع بكل جدية.

مطرقة البرلمان

نحن والتحدّيات القادمة

عبدالنبي سلمان

لطالما احتلت السجالات العامة التي عادة تلي الاعلان عن تسليم تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية لجلالة الملك وللحكومة الموقرة ولمجلس النواب، مساحات واسعة من التعاطي المجتمعي مع حيثيات مايرد فيها من تفاصيل حول أداء الوزارات والعديد من الجهات والشركات التابعة للدولة، نظرا لما تحتويه تقارير الديوان ومنذ أكثر من خمسة عشرة سنة من وجوه متعددة من الفساد والتجاوزات الادارية والمالية، والتي كثيرا ما شكّلت وتشكل صدمة للرأي العام، في مقابل ما نسمعه باستمرار من حديث رسمي في الغالب، حول ترشيد الإنفاق وضغط المصروفات وشد الأحزمة على البطون!

إلا أن ذلك الحديث سرعان ما يبهت ويتلاشى بعد أن تستغرق في الحديث حول تفاصيله العديد من جمعياتنا السياسية ومؤسساتنا المدنية وحتى بعض مجالسنا الأهلية، اللاهثة وراء مادة مسلية ومستفزة وربما حتى مسلية، تستسلم بعدها لحالة من الجمود كنوع من حالة الأحباط منتظرة التقرير القادم لتعاود الكرّة وكأنّ شيئا لم يكن!

الغريب أن هذه الحالة تستدعي عادة تجاوبًا، هو الآخر متصف بالرتابة والتكرار وكثيرا مايبعث على الملل، من قبل الحكومة ومجلس النواب، فها هي الحكومة وقد اعتادت على ترديد عبارتها الأثيرة كل عام بدعوتها لتشكيل لجنة لمتابعة ما ورد في التقرير وبعدها يسود صمت القبور لعام كامل دون أن نستشعر أو نسمع تحولًا حقيقيًا في سلوك وممارسات تلك الوزارات أو المؤسسات، او في الإعلان عن إقالة وزير أو مسؤول ادانته حيثيات التقرير! وهكذا دواليك تتوالى فصول التعدي على المال العام وسط صمت رسمي، وتعاط لا يرقى كثيرا لحجم التحديات القائمة والتطاول على المال العام ومقدرات الوطن من قبل مجلس النواب.

نقول ذلك وقد انتهينا للتو في مجلس النواب من مناقشة آخر تقريرين من تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية بكل ما احتوياه من تجاوزات مالية وإدارية. صحيح اننا بتنا متعودين على متابعتها طيلة أكثر من خمسة عشرة عاما، إلا أن الفارق هنا هو أن الظرف المالي والزماني قد تغيّر كثيرا، حيث تعاظمت مديونية الدولة لتصل في حدود ال 100٪ من الناتج المحلي الاجمالي، فيما تجاهد الدولة في البحث عن بدائل لتحسين أداءها الاقتصادي والمالي، وتحسين موقفها لدى المؤسسات الدولية المانحة.

يضاف إلى ذلك محاولة اقناع دول الجوار الخليجي بجدوى ما قدّمته للبحرين من مساعدات مشكورة على أكثر من صعيد في مقابل ما هو منتظر منا كدولة لتحسين أداءنا الاقتصادي والمالي وصولا لبلوغ حالة التوازن المالي بحلول العام 2022، وهو أمر اشك شخصيًا في بلوغه إذا ما استمرت أوضاعنا الاقتصادية والمالية على ذات النهج الحالي الخطر وغير المنضبط، حيث تضيع ممارسات الفساد عشرات بل ومئات الملايين سنويا، وتهدر معها الكثير من الطاقات الكامنة، ونكتشف أن هناك حاجة للتوقف لمعالجة نهجنا الاقتصادي المستمر منذ سنوات والحاجة لضبط عجلة الاقتصاد وتنويع قواعده، بدلا من استسهال الارتماء في احضان اجندات صندوق النقد الدولي دون طائل، حيث أضعنا فرصًا مواتية كان الأجدر بنا استثمارها، علاوة على ما احدثته التحولات العالمية الجارفة من مخاطر تتجاوز قدراتنا بأميال ضوئية، والتي كان آخرها كارثة فايروس كورونا التي نعيش وسط تموجاتها المدمرة، وبات من الصعب التكهن بمآلات ما هو قادم إلينا من تداعيات، لاخيار أمامنا الا الاستعداد المدروس لها.

وبطبيعة الحال فإن كلًا من الحكومة والسلطة التشريعية بغرفتيها يتحملان مسؤليات جسام خلال الفترة القادمة، الأمر الذي يستدعي تحولًا نوعيًا في كيفية التعاطي المسؤول مع المالية العامة والاقتصاد الوطني ومقدرات البلد، وبدون مجاملة أو تخبط أو استخفاف، وهنا يجب ان نقولها بوضوح إن الحديث المتواتر حاليا عن التوجه نحو اعادة هيكلة الحكومة يجب أن يكون هذه المرة حقيقيًا وشفافًا حتى يكون قابلا للدعم شعبيًا، وأمامنا تجربة ناجحة ومتميزة لازلنا نعيش فصولها يقودها فريق البحرين بقيادة سمو ولي العهد في التعاطي مع ازمة مع فايروس كورونا، وهي تجربة اتسمت بالشراكة والتخطيط الجيد حتى باتت محل اشادة محليًا ودوليًا، ويمكن أن تكون انطلاقة جديدة للبحرين الجديدة في وجه التحديات القادمة، إلا أن ذلك يتطلب شراكة فاعلة وحقيقية لبناء مستقبل آمن ومزدهر لأبناء شعبنا، تلك مهمة تشوبها العديد من التحديات لكنها حتما ليست مستحيلة.

وعلى السلطة التشريعية خلال الفترة القادمة أن تكون أكثر استعدادا لخلق تلك الشراكة، وأن لا تكتفي باستمرار الضغط من أجل حلحلة العديد من الملفات، بل أن تطرح نفسها شريكًا فاعلًا ضمن معادلة جديدة، وهو أمر يجب أن تتسع له الصدور من اجل حاضر ومستقبل بلادنا وشعبها، فلنكن عند مستوى التحديات الضخمة القادمة الينا بسرعة.

«تقدّم» تناشد جلالة الملك إصدار عفو عام للدواعي الصحية وتعزيزاً للوحدة الوطنية

جددت «كتلة تقدم» البرلمانية دعمها ومساندتها لكافة الجهود التي تقوم بها مملكة البحرين على المستويين الرسمي والشعبي لمواجهة تداعيات وانتشار فايروس كورونا، حيث حظيت جهود واستعدادات بلادنا البحرين بإشادات دولية، نظرا لما حققته البحرين حتى الآن من نجاحات متميزة حماية لشعبها ولكافة المقيمين على أرضها، ولقد استتبعت مملكة البحرين جهودها تلك بعدة مبادرات لتقليل مخاطر وتداعيات انتشار الوباء على مختلف الصعد الاجتماعية والصحية والاقتصادية، وذلك بفضل توجيهات القيادة السياسية وبحكمة ملك البلاد حمد بن عيسى آل خليفه حفظه الله والحكومة الموقرة، وما يقوم به فريق البحرين بقيادة سمو ولي العهد من جهود ومبادرات استثنائية لازالت تتوالى تباعًا، والتي كان آخرها طرح حزمة من المبادرات بلغت كلفتها 4،3 مليار دينار لدعم أجور القطاع الخاص وتخفيف الأعباء المالية والمعيشية على المواطنين، ومن مختلف الشرائح، الأمر الذي اشاع المزيد من الاطمئنان والارتياح لدي الجميع، وخلق اجواء ايجابية من التلاحم والوحدة الوطنية.

وأكدّت "تقدّم" في بيانٍ لها بهذا الخصوص: أنه "كان للمساعدة المتميزة التي قامت بها العديد من الجهات الرسّمية والأهلية أكبر الأثر، وفي مقدمة ذلك ما تقوم به الطواقم الطبية البحرينية الكفوءة من دور متميز، بمساندة من وزارة الصحة ووزارة الداخلية ومختلف القوات الأمنية وقوة دفاع البحرين، الذين يقدمون أروع الأمثلة على التكاتف والإخلاص في أداء المهمات المنوطة بهم في ظل هذه الظروف الاستثنائية.

وأضاف البيان: "في خضم ما تشهده البحرين من تلاحم ووحدة وطنية بين القيادة والشعب بكل فئاته وشرائحه للعبور نحو المستقبل وبأقل الخسائر الممكنة، فإننا في "كتلة تقدّم" البرلمانية، ومن خلال موقعنا كممثلين للشعب نناشد ملك البلاد المفدى وقيادتنا السياسية انطلاقا من حرصها على سلامة الجميع، بالإفراج عن جميع المحكومين عبر عفو عام عن جميع المحكومين والموقوفين، خاصة أولئك المحكومين على خلفية قضايا سياسية، أو بسبب قضايا مالية او جنائية محدودة، وممن قضوا فترات من عقوبتهم، وذلك لدواعٍ انسانية وصحية، في ظل ما نواجهه من تحديات ومخاطر صحية كبيرة، خاصة وانّ مملكة البحرين قد باشرت بالفعل ومنذ أشهر في تفعيل قانون العقوبات البديلة على المئات من المحكومين على قضايا مختلفة، ومن بينها قضايا الرأي.

وقالت "تقدّم" في بيانها: "قد اشاعت حكمة وبعد نظر ملك البلاد وقيادتنا السياسية حالة من الارتياح العام على المستوى المحلي، كما أضافت كثيراً لسجل البحرين في حقوق الانسان والتسامح، وساعدت تدريجيا في عودة الوئام والاستقرار عبر تلك المبادرات التي تلقى احترام وتقدير شعبنا ومنظمات العالم الحقوقية".

هاشم: خطوات مكافحة «كورونا» بمواقع وسكن العمال مهمة وتتطلب الجدّية في التنفيذ والمتابعة

أشاد عضو "تقدّم" فلاح هاشم بتعميم سعادة وزير العمل الصادر يوم الاثنين 13 أبريل 2020 الخاص بضرورة الالتزام بتطبيق إجراءات مكافحة انتشار (كوفيد – 19) بمواقع العمل ومساكن العمال، والذي صدر بالاستناد إلى قرارات اللجنة التنسيقية، برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة، ولي العهد نائب القائد الأعلى النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، وقرار وزير الداخلية رقم (59) لسنة 2020 ، والذي أكد فيه على مسؤولية أصحاب العمل على توفير أدوات السلامة الشخصية للعاملين، بالإضافة الى اشتراطات أخرى بخصوص سكن العمال.

وأكدّ هاشم على أهمية المتابعة الحثيثة لتنفيذ التعميم المذكور، مع التركيز على النقاط التالية:

1- توجيه إدارات الشركات للتنسيق مع فريق الفحص الميداني لإجراء فحوصات عند مداخل مواقع العمل بالمصانع والشركات الوطنية. فهي ضرورية لحماية العمالة الوطنية قبل الوافدة بسبب مخالطتهم لزملائهم من العمالة الوافدة.

2- تشديد الرقابة والتفتيش على مساكن العمالة، خاصة تلك المنتشرة في الاحياء والقرى والمزارع.. عبر مراجعة كشوف الساكنين المستأجرين في هذه المباني.

3- زيادة أعداد المفتشين والتنسيق مع الادارات والجهات الاخرى في الوزارات المعنية كالبلديات والصحة والداخلية لتشكيل فرق تفتيشية مشتركة لمساكن العمال.

4- الإشراف على دورات المياه وأماكن تقديم الأطعمة والمواصلات، والتأكد من تطبيق تعليمات التباعد الاجتماعي فيها وإجراءات تعقيمها. .

يوسف زينل ينتقد عدم جاهزية التربية للتعلّم عن بعد ويدعو للاستماع لشكاوى أولياء الأمور

قال عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل إن الانعكاسات السلبية لعدم جاهزية وزارة التربية والتعليم، لنظام التعليم عن بعد، لا زالت تترى، مضيفاً أن الوزارة تصر على أن الأمور على ما يرام غير أن الواقع يشير للعكس، والسلبيات عديدة بينها حاجة البوابة التعليمية نفسها للتطوير على الصعيد التقني والفني وعلى صعيد المحتوى التعليمي وقدرته على إيصال الفكرة للطالب.

وأضاف: الحديث عن هذه السلبيات قد يطول بطول معاناة أولياء الأمور، غير أن اللافت وسط كل ذلك هو تحوّل بعض أولياء الأمور إلى طلبة، فهم من يحل الواجبات وهم من يرسلها لاعتماد الدرجات، ولا آلية لدى المدرسة ولا الوزارة للتثبت من حل الطالب للواجب بنفسه.

وتابع: قد نعذر أولياء الأمور وسط ضغط مفاجئ خلقته لهم وزارة التربية والتعليم، دون سابق استعداد وجاهزية، وباتوا بين خيارين أحلاهم مر: إما خسارة الدرجات أو الاضطرار لحلها بأنفسهم، غير أننا لن نجد عذراً للوزارة التي تتحمل دون شك مسؤولية ما يجري ومسؤولية الأضرار الواقعة بشكل مباشر على ولي الأمر والمعلم.

واختتم زينل تصريحه بدعوة الوزارة لتقييم تجربة التعليم عن بعد سريعاً وفتح قنوات اتصال حقيقة للاستماع لما يبثه أولياء الأمور من شكاوى بعيداً عن أرقام اتصال غير فعالة، وبعيداً عن إشادات لا تتطابق تماماً مع الواقع.

..ويدعو لإضافة الضريبة المضافة إلى قائمة الاعفاءات لمدة ثلاثة شهور

في تصريح آخر أشاد عضو «تقدّم» يوسف زينل، بالقرار الصادر عن هيئة تنظيم سوف العمل والخاص بوقف رسوم العمل الشهرية ورسوم إصدار وتجديد تصاريح العمل لـ 3 أشهر بدءاً من 1 أبريل 2020، ووصف ذلك بأنه هي خطوة أخرى تأتي ضمن سلسلة خطوات رسمية، غايتها التصدي لفيروس كورونا وتداعياته، صحياً واجتماعياً واقتصادياً، بما يكمل رسم النموذج البحريني المميز والمتميز إقليمياً وحتى عالمياً، وهو يتناغم مع ما ينادي به المواطنون والسلطة التشريعية، وما يقدم من مقترحات.

في الإطار ذاته، دعا زينل لشمول ضريبة القيمة المضافة بقرار الإيقاف الممتد لـ 3 أشهر، وهو يؤكد حاجة المؤسسات التجارية بمختلف تصنيفاتها لهذا القرار وقاية لها من تداعيات أزمة فيروس كورونا، وتفادياً لخطر الإغلاق الذي بات هاجساً يؤرق شريحة من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة على وجه الخصوص.

وواصل: تأثيرات الإيقاف المؤقت لن تقف عند هذا الحد، إذ ستمتد لتقي الاقتصاد المحلي شبح التسريحات وما ستخلفه من أضرار وخيمة، اقتصادياً واجتماعياً.

مطالبة بتسوية أوضاع الحراس وعمال التنظيفات في وزارة التربية والتابعين لمقاولين

اشتكى عدد من عمال المقاولين الذين يقدمون خدمات لوزارة التربية والتعليم كالحراس وعمال التنظيفات وغيرهم من التأخير المتكرر أو عدم الوفاء بمستحقاته، وفي هذا الخصوص أكدّ عضو «تقدّم» النائب فلاح هاشم على «أن حل هذه المشكلة هي مسؤولية مشتركة بين وزارة التربية وديوان الخدمة المدنية والمتعهد.. هذا وفق ما ينص عليه تعميم ديوان الخدمة المدنية رقم (4) لعام 2002 بشأن تطبيق قرار مجلس الوزراء رقم (01 – 1656 الفقرة ثالثا) والذي ينص: على الجهات الحكومية ضرورة اتخاذ ما من شأنه ضمان حصول العاملين على مستحقاتهم كاملة غير منقوصة مقابل ما يؤدونه للمتعهدين من أعمال، وأن يتضمن العقد المبرم بين الجهة الحكومية والمتعهد نصاً بهذا الخصوص، وأن تلتزم الجهة الحكومية المتعاقدة والمتعهدين بالاحتفاظ بسجلات توضح أداء وسلوك ورواتب العاملين للرجوع إليها فى حالة تظلم أحد الأطراف (المتعهد – الجهة الحكومية – العاملين) من سوء المعاملة أو عدم تأدية العمل طبقا لما تم الاتفاق عليه بين جميع الأطراف.

هذا بالاضافة لما ينص عليه تعميم الخدمة المدنية رقم (4) لسنة 1979 في البند 4 الذي اكد على وجوب أن تتضمن العقود على التزامات المتعاقد من حيث تهيئة العمال والمحافظة على صحتهم وسلامتهم والتأمين على أرواحهم، وكذلك تقديم تقارير منتظمة عنهم وعن رواتبهم للوزارة المتعاقدة.

وبذلك فالوزارة وكذلك ديوان الخدمة المدنية شريكان في مسؤولية متابعة تنفيذ ما نصّ عليه التعميم وقرار مجلس الوزراء خاصة مع تكرار هذه المخالفات.

سواق «التاكسي» يقضون غالبية الأيام من دون مدخول يومي

ناشدت جمعية النقل العام تخصيص مبلغ شهري كدعم لسائقين التكاسي وتعويضهم للضرر في ظل الاجراءات الاحترازية لمواجهة فيروس الكورونا «كوفيد-19» واطلاق العديد من الحملات والشعارات من قبل الجهات الرسمية التي تطلب من المواطنين والمقيمين المكوث في المنزل واقتصار الذهاب الى العمل والخروج للطوارئ فقط.

وقال رئيس محمد الجمعية محمد البربوري: "اننا نعمل على نقل السياح القادمين من الخارج ونعتمد على حركة السياحة في المملكة اعتمادا كليا في مدخولنا الشهري، وبعد غلق المنافذ أمام السياح عانينا من توقف العمل ونقضي أغلب الأيام بدون أي مدخول يومي، وهذا ما يؤثر علينا ولانجد من نعيل به على عائلاتنا وخاصة وان اغلب السائقين ليس لديهم عمل آخر والبعض يعاني من تراكم الايجارات والديون عليه".

وذكر أن الجمعية تقدّر كل ما تقوم به الجهات المعنية من اجل مكافحة الفايروس وتسهيل امور الحياة للمواطنين وبالخصوص بعد امكانية ايقاف القروض للمواطنين الراغبين لمدة 6 شهور، وهو قد يسهل الكثير علينا ويخفف من تراكم اقساط القروض الذي نعاني منه.

«**الأيام**»: 17 **ابريل** 2020

مدّ تدقيق ديوان الرقابة المالية إلى أموال الاتحادات العمالية والأندية الرياضية

تنظر لجنة الشؤون المالية و الاقتصادية بمجلس النواب في الاقتراح بقانون بتعديل المادة (4) من قانون ديوان الرقابة المالية و الإدارية الصادر بمرسوم (16) لسنة 2002م و المقدم من النواب: السيد فلاح هاشم، عبدالنبي سلمان، ممدوح الصالح، يوسف زينل ومحمود البحراني.

وأشارت المذكرة الإيضاحية بأن هذا المقترح بقانون يهدف إلى التحقق بسلامة ومشروعية استخدام أموال هذه المنظمات، والتأكد من حسن إدارتها ومكافحة الفساد وتفعيل مبدئ الشفافية في عملها مما يعزز من دورها ومصداقيتها لدى الأعضاء والمؤسسات المنتمية اليها، وذلك من خلال مراقبة ديوان الرقابة المالية عليها، وهو ما تهدف اليها المادة التاسعة من الدستور.

كما يهدف هذا المقترح إلى تعزيز دور ونشاط هذه المنظمات في المجتمع، من خلال تقويم عملها على المستوى المالي والإداري وبث الثقة والاطمئنان لدى المجتمع. مما يعزز مكانتها بين أفراده لأن أموال هذه المنظمات هي مخصصات من الدولة عبر دعم يقدم من الميزانية العامة للبلاد.

«**البلاد**»: 11 **ابريل** 2020

للإخلال بالقانون.. وقف العمل بمكتبي سفريات 3 أشهر

أصدر وزير الصناعة والتجارة والسياحة زايد الزياني قرارين وزاريين لوقف العمل بالترخيص السياحي لشركتي سفريات مدة 3 أشهر وذلك لإخلال إدارة الشركتين بالالتزامات وأحكام التشريعات السياحية على نحو يمس مصلحة السياحة الوطنية.

"**الوطن**" : 5 **ابريل** 2020

كورونا قد «يُدمّر» 20 مليون وظيفة في أفريقيا

أظهرت دراسة للاتحاد الإفريقي أن نحو 20 مليون وظيفة في القارة باتت مهددة، إذ من المتوقع أن تنكمش اقتصادات القارة هذا العام بسبب تأثير وباء كورونا.

ووفقا لما اعتبره باحثو الاتحاد الأفريقي السيناريو الأكثر واقعية في نظرهم، فإن من المتوقع أن ينكمش اقتصاد أفريقيا 0.8 بالمئة، بينما يتوقع السيناريو المتشائم انكماشا بنسبة 1.1 بالمئة. كما أفادت الدراسة أن ما يصل إلى 15 بالمئة من الاستثمار الأجنبي المباشر «قد يختفي».

وجاء في الدراسة «نحو 20 مليون وظيفة، في القطاعات الرسمية وغير الرسمية على السواء، مهددة بالدمار، إذا استمر الوضع». وقالت إن الحكومات الأفريقية قد تخسر ما يتراوح بين 20 بالمئة و30 بالمئة من إيراداتها المالية، التي تفيد التقديرات أنها بلغت 500 مليار في 2019.

«**البلاد**» : 06 **أبريل** 2020

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

عمال الفنادق الأجانب يعانون توقف رواتبهم

يواجه العاملون في القطاع الفندقي أزمة مالية خانقة وخصوصا العمالة الوافدة التي تعمل بهذا القطاع والقادمة من دول آسيوية وغيرها في أجواء تراجع حاد في أعداد الزبائن وبالذات في فنادق الدرجة الرابعة بسبب جائحة كورونا.

صرحت بذلك النقابية سعاد محمد رئيسة نقابة العاملين في نقابة الفندقة، حيث أوضحت أن العاملين والموظفين حائرون من عدم توافر العمل وانعكاس ذلك سلبيا على توقف دفع الرواتب والأجور المستحقة لهم من قبل أصحاب الفنادق باستثناء توفير مكان لسكنهم. وتابعت أن هناك عددا من العمالة الأجنبية لم يتسلموا رواتبهم منذ يناير الماضي أي قبل أزمة كورونا، وكشفت أن أغلب العاملين في هذا القطاع هم من الأجانب حيث لا تتجاوز نسبة البحرينيين 10٪ من إجمالي العاملين.

وأضافت أن نقابة الفندقة تابعت باهتمام ملف العمالة الأجنبية مع إدارات عدد من فنادق الدرجة الرابعة، وتبين أن أصحابها مستثمرون موجودون خارج البحرين ويوكلون إدارة هذه المؤسسات إلى مديرين يقومون بمهماتهم الإدارية والاستثمارية بشكل محدود، وبالتالي لا يعيرون الاهتمام المطلوب للعاملين لديهم في هذه الظروف الاستثنائية.

واقترحت أن تقوم وزارة العمل والتنمية الاجتماعية بالتواصل مع أصحاب الفنادق والاتفاق بدفع الوزارة نصف راتب العامل والنصف الآخر يدفعه الفندق حتى تتجاوز الأزمة على أن تتابع الوزارة والتنسيق مع النقابة والمؤسسات الفندقية بهذا الشأن، كما اقترحت أن تقوم هيئة تنظيم سوق العمل بالتواصل مع المؤسسات والشركات المعنية بالمساهمة في مساعدة العمال ماديا كل شهر بالإضافة إلى عدم إهمال دور المؤسسات والصناديق الأهلية العاملة في أعمال الخير بمساعدة عدد من هذه العمالة، فهو عمل إنساني.

«**أخبار الخليج**»- 22 **إبريل** 2020

هل تحدّ الرقابة المالية والإدارية على منظمات المجتمع المدني والأهلي من استقلاليتها؟

لا يختلف اثنان على أهمية الرقابة بشقيها المالي والإداري على أية منشأة أو مؤسسة ومنظمة، سواء كانت عامة أم خاصة، أهلية ام مدنية. فمن خلالها يمكن مساعدة ادارة هذه المؤسسة على تحقيق أهدافها وفق ما تنصّ عليه الأنظمة الناظمة لعملها، والتأكد من تحقيق خطة العمل وفقاً لمسارها الصحيح، وتنفيذاً للوظائف المخطط لها. وبالكشف عن الأخطاء ومعالجتها بشكل فوري، وبالتأكد من التقيد واحترام كافة القوانين والأنظمة والقرارات الإدارية. هذا بالإضافة إلى المساهمة في الحفاظ على حقوق أعضاء هذه المؤسسة وهو ما يعزز الثقة ويبث الطمأنينة لديهم، ويساهم في نجاح هذه المنظمة ويعزز من مكانتها المجتمعية.

فلاح هاشم

ومن هذا المنطلق تحرص جميع الدول، والبحرين ليست إستثناء، أن يكون لديوان الرقابة المالية دور مهم يُخوّله في ذلك ما نصّ عليه قانون إنشائه وما يتمتع به من استقلالية عن الجهاز الحكومي والإدارات والهيئات التابعة لها، وقد درجت بعض الدول على أن يكون تابعاً للبرلمان وتحت إشرافه، إلا أن ما يشهد له ما مضى من السنوات من حرفية ومهنية التي تميزت بها تقارير ديوان الرقابة المالية تعطي الدليل على أن بقائه تحت إدارة الديوان الملكي

وإذ نتحدث عن منظمات المجتمع الأهلي والمدني ومدى حاجتها الى هذه الرقابة رغم ما تشكله الرقابة الداخلية من أعضاء هذه المنظمات، والتي تنص معظم انظمتها وقوانينها على وجوبها من أهمية، إلا أن الرقابة الخارجية وخاصة الرقابة التي تمثل المجتمع عبر مؤسسات تتمتع بصلاحيات تؤمنها لها القوانين وباستقلالية عن إدارة هذه المنظمات ما يساهم في تعزيز مبادىء الشفافية وديمقراطية الإدارة ويحقق إشتراطات الحوكمة فيها.

وما يعزز هذا الرأي ما لمنظمات المجتمع المدني والأهلي من دور مهم في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، بحيث أصبحت هناك حاجة إلى وجود رقابة على أنشطتها لضمان احترام القانون من خلال تنفيذ القوانين من جانب الأشخاص القائمين على إدارتها، بالإضافة إلى حماية المصلحة العامة.

وبالرغم من الاستقلال الإداري والمالي لهذه المنظمات والذي يضمن لها حرية العمل، وممارسة أي نشاط لها في حدود نظامها الأساسي لأجل تحقيق أهدافها وفق القانون والنظام العام، ولا ينتقص من هذه الحرية استثناء خضوعها لرقابة السلطات الإدارية والمالية المختصة التي تمارس الرقابة عليها بنصوص قانونية صريحة، ولكنها محددة واستثنائية ولا يجوز لإدارة الجهة الرقابية تجاوزها.

وتهدف الرقابة إلى التأكد من أن التصرفات التي تقوم بها أو تمارسها منظمات المجتمع المدني مطابقة للقوانين والأنظمة والتعليمات، وكشف الانحرافات والتأكد من سلامة السجلات والبيانات المالية من أي خطأ بحيث تكون مطابقة للتعليمات والأنظمة، ومن حسن استعمال الأموال وبشكل يضمن مكافحة الفساد المالي والإداري، خاصة أن تمويل هذه المنظمات يساهم فيه بشكل كبير ما يخصص لها في الميزانية السنوية للدولة من الأموال العامة، عدى ان ما يُحصل من إشتراكات أعضائها بحكم الأموال العامة ايضاً، وكذلك الكشف عن المخالفات والأخطاء التي تحدث في هيئاتها وتحديد المسؤولين عنها وتبيانها للرأي العام، شأنها في ذلك شأن المنظمات الأخرى كالجمعيات السياسية وغيرها، حيث يخّول القانون الجهة الإدارية سلطة فحص الأعمال الصادرة من هذه الجمعيات، والتأكد من تطبيقها للقواعد القانونية، وكذلك سلطة الإطلاع على الدفاتر والسجلات والوثائق والبيانات والمعلومات اللازمة.

كما أن المنظمات غير الحكومية في العديد من البلدان ومن ضمنها البلدان المتقدمة في مجال العمل المدني تلتزم بتقديم تقارير سنوية إلى دائرة المنظمات غير الحكومية، وتشمل تفاصيل عن نشاطات المنظمة والمشاريع التي نفذتها خلال السنة، وفي نفس الوقت على الإدارة أن تلتزم بالحفاظ على سرية المعلومات التي تحصل عليها من هذه المنظمات وعدم افشائها.

ليس أدلّ على ذلك، ما هو حاصل على أرض الواقع من رقابة الجهات المانحة التي يمارسها المانحون حيث يشددون على طلب المعلومات التي يرغبون الاطلاع عليها والمتعلقة بالسجلات المالية لتقدير قيمة البرامج التي تمّ تمويلها من قبلهم، كما تشترط بعض المؤسسات المانحة على المنظمات تعيين مدقق حسابات خارجي مستقل لمراجعة وتدقيق حسابات المشروع أو البرنامج الممول منها.حيث تخضع هذه المنظمات لرقابة من قبل وكالات ومنظمات تمثل الصالح العام في بلدانها، بل أن بعضها تابعة لوزارات او إدارات حكومية مثال ذلك النقابات الامريكية حيث تتلتزم بتقديم تقارير وإفصاحات لإدارة العمل (Labor Management Reporting and Disclosure) فكيف لنا أن نقبل رقابة هذه الجهات ونرفض الرقابة المحلية المعنية بالرقابة على الاموال العامة بذريعة الاستقلالية.

وختاماً نعتقد أن للرقابة المالية والإدارية دور هام في تعزيز الشفافية والمساءلة والحوكمة داخل الإدارات والهيئات وهيا كل هذه المؤسسات، وبما يساهم في الحدّ من مركزية سلطة الإ دارة التنفيذية داخل هيكل هذه المنظمات ويكشف للجمعيات العمومية عدى عموم افراد المجتمع عن مدى سلامة سير عمل هذه المؤسسات ويعزز الثقة فيها وفي أدائها، بما يهيؤها لدور مجتمعي أكبر.

العمالة الوافدة في أزمة كورونا

هشام عقيل

((تنقسم الطبقة العاملة الانكليزية إلى معسكرين متناحرين: العمال الانكليز من جهة، والعمال الآيرلنديين من جهة أخرى. يكمن سر ضعف الطبقة العاملة الانكليزية في هذا التناحر، رغم أنها منظمة. إنه سر ديمومة النظام الرأسمالي. والرأسماليون يعون ذلك جيداً)).

كارل ماركس

تتلخص آراء البورجوازية الصغيرة المطروحة في البحرين اليوم بما وصفاه ماركس وانغلز في بيانهما الشيوعي قديماً بكونها آراءاً تحن إلى مجتمع رأسمالي من دون أي بروليتاريا، أو بكلمات اخرى: مجتمع رأسمالي من دون شرور ومساوئ الرأسمالية. بالفعل، ينطبق ذلك على حد سواء بمن يمكننا أن نسميهم (تبعاً للبيان الشيوعي) بالاشتراكيين البورجوازيين؛ وهم يكررون ذلك منذ «دمقرطة الرأسمالية» عند بيرنشتاين، «الإمبريالية – العليا» عند كاوتسكي، «التعاونية المجتمعية» عند برودون، «دولة الشعب كله» عند لاسال.

لكن فيما كان بيرنشتاين يوماً منظراً ماركسياً فذاً، وكاوتسكي بابا الماركسية (ومحرر المجلد الرابع لرأس المال)، ولاسال مؤسس الحركة الاشتراكية الديموقراطية الألمانية، وبرودون مؤلف كتاب (ما هي الملكية؟) الذي هز الحركة الاشتراكية الأوروبية حينها، فإن اشتراكيينا البورجوازيين مدافعون سيئون جداً عن أوهامهم. وبطبيعة الحال، حالما تفشى وباء كورونا في البحرين، أصبح الجميع حريصاً على «مصلحة الوطن»، والكُل دأب في تقديم كل ما لديه لتطهير هذه الجزيرة من كل وباء. الآن، بين ليلة وضحاها، الكُل يدعو لتأجيل كل مشكلة سبقت قدوم هذا الوباء والتركيز أساساً في اقتلاع المصدر الأساسي له.

في البداية، أشار الطائفيون البائسون بإصبعهم على القادمين من إيران كالمصدر الوحيد لهذا الوباء، ولم يكن صعباً عليهم تحديد هوية القادمين من هناك؛ وبالفعل، قبل عقد من اليوم أشاروا بأصبعهم على مثل الطائفة وقالوا بانهم وباء سياسي يجب «تطهيره». وسرعان ما انهارت أحلامهم حين كشفت المصادر الرسمية بأن مصدر الوباء أيضاً يقدم من دول عربية اخرى مثل مصر؛ واختاروا حينها الصمت. رفضت أطراف واسعة من البورجوازية، والبورجوازية الصغيرة، والطبقة العاملة السكوت عن هذا الخطاب الطائفي، خصوصاً أن مشكلة البحرينيين العالقين في إيران تفاقمت حينها، ولا تزال متروكة من دون حل سريع. حينها أيضاً رفض الاشتراكيون البورجوازيون الصمت، وأدانوا كل ما تفوّه به الطائفيون هؤلاء؛ والحق معهم طبعاً.

«كه عشق آسان نمود اول ولى افتاد مشكل ها!» [كان العشق ميسوراً حتى انقلبت علي الدنيا بمصائبها. إلى هذا الحد، كان مصدر الوباء خارجياً، وكم كان سهلاً الحديث ضده! لكن حالما اكتشفنا بأن هذا الوباء انتشر بشكل واسع بين مساكن العمال الوافدين، وبالأخص الآسيويين الفقراء منهم، حتى أصبح كتابنا، وساستنا، ونوابنا، في حيرة من أمرهم؛ بالأمس كانوا انسانيين متعاطفين مع اخوانهم سنة وشيعة معاً، أما اليوم فقد حشرهم هذا الوباء في زاوية حرجة؛ الذين كانوا مجهولين طوال هذه المدة أصبحوا محور اهتمام الرأي العام. مهما كان، أنهم أكثر ذكاءاً من يعبروا مباشرة عن عدم اكتراثهم بهذه الشريحة، وأنهم أكثر ذكاءاً من كشف انفصام «انسانيتهم» في هذه اللحظة الحرجة. بطريقة أو اخرى، أصبح هناك تطابقاً ما بين الآراء التي تطرحها البورجوازية والبورجوازية الصغيرة من جهة، والآراء التي يطرحها بعض الاشتراكيين البورجوازيين الاعزاء. الاقتراح الذي توصلوا إليه، لا ريب في ذلك، هو الأكثر انسانية: تسفير العمالة الوافدة هذه حيثما جاءت، ويضيفون على هذا المقترح جملة سحرية (اسأل القارئ ألا يضحك!): «بأكثر طرق إنسانية ممكنة»! عليّ أن اعترف أنهم اجتهدوا كثيراً لابتكار هذه الجملة. «أكثر الطرق الانسانية ممكنة»: جملة بائسة لا تغير من حقيقة مطالبكم، تذكرني بالمثل الفارسي: «ولد حماراً ومات بغلاً!». الفكرة ليست فكرة العامل الإنساني أو الوحشي، بل تسفير العمالة الوافدة في حالة حرجة حيث بلدانهم لا تريد استقبالهم حتى؛ حالة حرجة حيث أن هذه العمالة نفسها لن تستطيع أن تدبر امورها حالما تطأ رجليها في بلدانها (أوليس ذلك السبب الرئيسي الذي دفعها أن تترك بلدانها في المقام الأول؟). انسانيتكم، أيها السادة، ما هي سوى جملة انشائية تضيفونها لزخرفة شوفينية كامنة؛ لزخرفة تناقضكم الداخلي الشبيه بتناقض هاينه حين أكتشف بأن محبوبته أصبحت تبادله الحب:

بغبطة صعدتُ أعلى الجبل
ونشدتُ أنشودة الفرح
وفيما كانت الشمس في الأفول
انهمرت دموعي على ساحل البحر

ينجح هاينه في تحريك مشاعرنا عبر تناقضاته، ولكن انسانيتكم لا تعبر عن تناقض صادق كهذا حتى! الحق يقال، وسأقولها بالنيابة عنكم لأزيح هم الصمت عن صدوركم، أنكم دائماً وجدتم في هذه العمالة الوافدة عنصراً طفيلياً مزعجاً في تركيبة مجتمعكم العزيز، وآرائكم الاقتصادية كانت وافية وكافية لإثبات هذا الازعاج؛ فكم حاولتم اقناع الجماهير البحرينية بمعاداة العمالة الوافدة حين جلبتم ارقاماً من تحت الأرض كي تكشف أن التنافس ما بين «الطبقات الشعبية البحرينية» و«الطبقات الشعبية الوافدة» في شدة، وأن الصراع أساساً هو هو هذا التنافس. ثم، ارتأى لكم أن تدافعوا عن بورجوازية بلادكم حين حاولتم اقناعها بأن الصرف على العمالة الوافدة لا يعود بالنفع لرأس المال الوطني، ولا على «الاقتصاد الوطني» (ترجم ذلك إلى: النظام الرأسمالي القائم). أنكم تغوون الطرفين، وبين كفة عشيقين: في اليد اليمنى الطبقات الشعبية، واليد اليسرى الطبقات المالكة للوسائل الإنتاجية؛ تستميتون بكل ما لديكم لإرضاء الطرفين. ماذا تشكل لكم العمالة الوافدة هذه؟ الآثار غير الحميدة للنظام الرأسمالي، لهذا السبب تريدون نبذها وابعادها لأنكم ترغبون بنظام رأسمالي دون الآثار المدمرة له؛ وهذا مستحيل.

دعوني أقول بلا أي مواربة أو تلطيف بأنكم، بوصفكم اتباع الاشتراكية البورجوازية، تحت السطوة الكلية للإيديولوجيا البورجوازية. الدليل سهل: حين تقومون بتشغيل جماجمكم للبحث عن حلول للوباء المنتشر ما بين صفوف «العمالة الوافدة» فأنكم تعتقدون بأنه من حقكم، تبعاً لتأليه التسلط عند التقليد البورجوازي، أن تقرروا مصيرها بالنيابة عنها. اعذروني، أنكم لم تتحدثوا قط عن العمالة الوافدة إلا لكي تفكروا ماذا يجب عليكم أن تقوموا بشأنها. إنكم تتحدثون عنها، وبالنيابة عنها، ولكنكم لم تستمعوا إليها قط. لماذا؟ لأنها لا تمتلك لا قاعدة سياسية ولا منظمة أيديولوجية تكون لسان حالها! أنتم لا تثقون بالجماهير، ولا على قدرتها في ابتكار الحلول. وحين تقومون بهذه التمثيلية «الوطنية» في تفضيل «العمالة البحرينية» على «العمالة الأجنبية»، فإن للينين تسمية صريحة لكم: الاشتراكية الشوفينية.

رب هناك من سيعترض قائلاً: «لكن ألن يكون تسفيرهم الحل الأمثل لهم، رفقاً بهم وبأحوالهم؟». لا يعني هذا الاعتراض شيئاً، فإن شعوركم الانساني هذا سيرافق هؤلاء إلى مطاراتهم الوطنية وسيحلق عائداً إلى البحرين؛ وستنسوهم تماماً حين تتركونهم في يد بورجوازياتهم. هذه نواياكم، في مثل الوقت الذي تقدمون احتجاجاتكم على افعال الصهاينة تجاه العمالة الفلسطينية التي تعمل في أسوأ الأوضاع في بلدها المحتل! ما الفرق حين يمنع

الصهاينة (وممثليهم الإيديولوجيين) – بتجاهل متعمد – حق النظام الصحي على عموم الفلسطينيين، لأنهم يعتبروهم وافدين «أقل شأناً»، فيما يزداد انتشار الوباء ما بينهم بفعل اوضاعهم المتدنية (من بين 3865 حالة مسجلة، يشكل الفلسطينيون مجرد 38!)، وحين يطالب البعض هنا بترحيل العمالة الوافدة لتخفيف الضغط على النظام الصحي القائم؟ ترى هل ستتغير نوايا النظام الصهيوني حين يضيف كلمة "انساني» على افعاله هذه؟

القضية ليست قضية ما يجب أن نعمل مع «العمالة الوافدة». أنكم تسيئون الفهم! القضية هي كيف يمكننا التواصل معها، وإقامة جسوراً بيننا وبينهم، وفتح قنوات مشتركة لتوحيد الطبقة العاملة محلياً. والأمر واضحاً: كل من يقف ضد وحدة الطبقة العاملة هو غريب عن الفكر الاشتراكي العلمي؛ وكل من يشارك في تفريق الطبقة العاملة سياسياً وآيديولوجياً، لا يسمي نفسه اشتراكياً إلا ليخدع نفسه.

لكن لكي نحل هذه المعضلة سيتوجب علينا أن نفهم كيف نكسب مفهوماً مغلوطاً عن «العمالة الوافدة» حين نتخيلها كتلة واحدة دون أي تناقضات أو فروقات ما بينها. حالما تقولون «عمالة وافدة» فإنكم تتخطون تحديداتها الطبقية التي تفرق ما بينها، كما لو كانت كتلة مجمدة ثابتة. أنا لا أفكر هنا في التناقضات ما بين العمالة الوافدة التي تحتل المناصب الإدارية في بعض الوزارات ومجالس ادارة الشركات الوطنية، وبين العمالة الوافدة الفقيرة التي تكون في غالبيتها آسيوية، بل أحصر كلامي في الأخيرة وحسب (وتناولتُ هذه الفروقات بشكل أوضح في العدد 139 لنشرة التقدمي، في الجزء الثاني من مقالة (رأس المال الكولونيالي في سياق الأزمة الاقتصادية البحرينية) لا يُمكن أن نضع للعمالة الوافدة الآسيوية تحديداً اثنياً، ولن يكون أصح أن نحددها تحديداً يرجع للنمط التوزيعي، ايّ كـ «الآسيويين الفقراء». إن هذا التحديد ليس علمياً.

أولاً، ينتمي جزء من «العمالة الوافدة» للطبقة العاملة التي تنحصر بالعمال الذي يعملون في شركات البناء، والصناعة المتوسطة والخفيفة غالباً (رغم أنها ايضاً تتواجد احياناً في المصانع الكبيرة)، والورش، والكراجات. ويُمكن أن نحدد علمياً بأن هذا الجزء يشكل شريحة (لا قسم ولا فئة) من الطبقة العاملة المحلية، كأثر التحديد السياسي والإيديولوجي، إذ إن هذه الشريحة من الطبقة العاملة لا تمتلك أي تمثيل سياسي أو إيديولوجي (ما يسميه غرامشي بالـ «هوامش»)، وتفرق عن باقي الطبقة العاملة البحرينية في حقيقتها الإثنية، وابتعادها عن الحياة السياسية، وغياب أي تمثيل اقتصادي لها (كالنقابات) في صراعاتها الاقتصادية مع أصحاب العمل، وأجورها المنخفضة بالنسبة إلى المعدل العام، وأخيراً بفعل وجودها غير الثابت إذ أن بعضها باقية في البحرين لفترة مؤقتة جداً، وبعضها الأخر من الممكن أن ترجع إلى بلدها الأم حالما تتحسن أوضاعها المعيشية.

من الطبيعي أن تكون هذه الشريحة الوجهة المفضلة للرأسماليين المتوسطين والصغار لإستخراج أكبر قدر من القيمة الزائدة (حيث يوم عملها يمتد من 8 إلى 12 ساعة) بالنسبة إلى الأجور. ثم تحضر هذه الشريحة في القسم السفلي من الطبقة العاملة التي تسمى عادة في الأدبيات الماركسية بالبروليتاريا الرثة أو ما– تحت –البروليتاريا. وميزة هذا القسم هو أنه يكوّن الجيش الاحتياطي للصناعة، وغالبية هذا القسم تشكل ما يسميه ماركس «العمالة الكامنة»، حيث ليس لهذه الطبقة وجوداً طبقياً ثابتاً، وتتراوح ما بين مختلف الأعمال بمقابل أجر زهيد جداً.

ثانياً، ينتمي جزء آخر من هذه الشريحة للأقسام الدنيا من الطبقة البورجوازية الصغيرة التي تنحصر في: عاملات المنازل، والأسواق الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وعمال التوصيل، أو حتى في «الدكاكين»التي تمتلكها البورجوازية الصغيرة التي يعمل فيها عادة عامل واحد إلى ثلاثة عمال.

ضعوا في البال أنني استثنيت الأقسام المتوسطة والعليا من البورجوازية الصغيرة التي تحضر فيها هذه الشريحة ايضاً، لأنني أركز على الأقسام الدنيا التي يتفشى بينها الوباء بشكل سريع. من الواضح، حسب هذا التصنيف الذي قمنا به، بأن الاشتراكيين البورجوازيين الصغار يتخذون وجهة نظر شريحة الأرستقراطية العمالية البحرينية (تلك الشريحة التي قال لينين عنها بإنها: «ممثلة البورجوازية في صفوف الطبقة العاملة»، التي قد ايضاً تتضمن جنسيات مختلفة، حين يشمئزون من وجود هذه الشريحة من الطبقة العاملة، وفي ذلك يرفضون (أو للتلطيف: يفضلون ألا) يقيموا أي علاقة سياسية وإيديولوجية معها. وكم طريفة حججهم حين يقولوا لنا: «أي نعم! ولكن الوضع القانوني لهذه الفئات لا يسمح لهذا التواصل!». بالفعل، يا لكم من اشتراكيين قانونيين جيدين!

حالما تفشى الوباء ما بين صفوف «العمالة الوافدة» أدان الجميع أسلوب حياتها، بينما الاشتراكيين البورجوازيين تملكت قلوبهم الرحمة قليلاً فأدانوا جزءاً واحداً من البورجوازية فقط لفرض هذا اسلوب الحياة على هذه الشريحة من الطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة. أيها السادة الإنسانيون الأعزاء، ليس أسلوب حياة هذه الشريحة من الطبقة العاملة، تلك «العمالة الوافدة»، هو الذي يسبب تفشي الوباء بشكل أكبر في البحرين. على العكس: النظام الرأسمالي الذي يستغل هذه الشريحة هو الذي فرض أسلوب الحياة هذا عليها مما يسبب تفشي الوباء بينها بشكل اسرع.

مرة اخرى، للاشتراكيين البورجوازيين حججاً طريفة حين يهاجمون الرأسماليين الذين يتعاملون مع عمال «الفري فيزا» لأنهم يفرضون أوضاعاً وحشية على هؤلاء العمال. لاحظوا! إنهم يهاجمون «بعض» الرأسماليين الذين – لأن ليس لهم أي قلب انساني مثلهم – ينشرون المظاهر السيئة للرأسمالية محلياً، لكنهم لا يهاجمون النظام الرأسمالي نفسه! ولعمري، لو كانت لديهم الجرأة الكافية لقالوا: «أوقفوا هؤلاء الرأسماليين عند حدهم، فأنهم يجلبون القاذورات إلى بلداننا!». لكنهم، بطبيعة الحال، لن يقولوا ذلك. فليكن!

ما نحتاجه أكثر من أي وقت مضى هو نقد جذري للنظام الرأسمالي.

حين أقول نقد النظام الرأسمالي لا أقصد النقد الظاهري له؛ لا اقصد نقد مظاهره وحسب (ايّ أنماط التبادل والتوزيع له). هناك أبحاث ودراسات عديدة تكشف أشكال ظواهر الرأسمالية في الخليج، مثل حجج «الحداثة الممتنعة» أو «الخلل الإنتاجي» كما نجدها مثلاً عند مفكرين جادين مثل الدكتور باقر النجار والدكتور عمر الشهابي. أذكر هذين الباحثين لأن أعمالهما تتكامل مع بعضها البعض وتتناول مثل الموضوع بطريقتين مختلفتين برأيي. إن أعمالهما تقدم لنا معلومات دقيقة حول تاريخ الرأسمالية في البحرين، والخليج عموماً، وعلى ذلك أنصح أي باحث أن يطلع على أعمالهما. ولكنني أتساءل عما إذا كانت أطروحاتهما الجادة والمميزة ستشكل مدخلاً لكل سوء فهم لطبيعة النظام الرأسمالي في الخليج، بقدر ما تقوم بنقده.

مثلاً، حين نتحدث عن «الخلل الإنتاجي»، أيّ الإنتاج الخليجي القائم على التصدير أساساً، وفي ذلك يبني توجهاته الإنتاجية نحو إنتاج النفط فيما تصرف هذه العوائد على مناطق اقتصادية غير منتجة والتصدير غير المنتج؛ هذا الاستهلاك غير المنتج للقيمة الزائدة، أيّ استهلاك للقيمة الزائدة الذي لا ينصب في مصلحة تراكم رأس المال «الوطني» (ويذكرني ذلك بأطروحة بُل باران حول الكومبرادورية الخليجية غير المنتجة)، فإن هذا التحليل يتخذ وجهة النظر الذاتية «للإدارة الرأسمالية»في بلدان الخليج. ومهما حب الكاتب أن يقنعنا بأن نماذجه هي موضوعية، فإن هذه النماذج هي موضوعة من وجهة نظر التبادل لا الإنتاج، بالتالي وجهة نظر الذاتية لا الموضوعية. إن موضوع هذا النقد، في نهاية المطاف، هو هو موضوع نقد الحداثة الخليجية الممتنعة: العقلية التي تدير النظام الرأسمالي تنافي تطور الوسائل الإنتاجية (العقلية نفسها لا تستطيع أن تستغل عناصر الحداثة استغلالاً حداثياً)، أو في حالة نظرية «الخلل الإنتاجي»: العقلية التي تدير النظام الرأسمالي في الخليج ليس لها الإرادة في تطوير الوسائل الإنتاجية. يصبح «الخلل الإنتاجي»، في هذه الحالة، مصطلحاً غير ثابت، وبالتالي غير علمي، لا يعني سوى: خلل في إدارة رأس المال، ايّ خلل في العقلية المتسيدة مؤسساتياً التي تدفع نحو استهلاك غير منتج لرأس المال بدلاً من تراكمه، حيث يكون «الخلل الإنتاجي» نتيجة هذا كله لا العكس حسب هذه النظرية؛ وهذا هو موقع فيبر لا ماركس. وإذا حاولنا أن ندمج ما بين فيبر وماركس سنترك بصيغة مميزة: ماركس + فيبر = ماركس ناقصاً صراع طبقي، أو بالأحرى = فيبر + نقد النظام الرأسمالي (مما سيولد لنا شيئاً شبيهاً بالنظرية المؤسساتية عند بولاني).

مع ذلك، لقد حذرتْ هذه الأطروحات عامين من اليوم من أوضاع شريحة العمالة الوافدة من الطبقة العاملة والأقسام الدنيا من الطبقة البورجوازية الصغيرة، تحت حجج أكثر رصانة عما يقدمه لنا اليوم الاشتراكيون البورجوازيون، وقدمتْ اقتراحات لحلول مؤقتة ومعقولة تتسم بإصلاحية جادة لا بد أن نفكر بها جدياً: مثل إصلاح مفهوم المواطنة، وتشريك العمالة الوافدة في القرار السياسي والتمثيل الإيديولوجي، وتشريكها في التمثيل الاقتصادي، إلخ. ورغم أنها حذرت من امكانية تفاقم الأزمة الاقتصادية البحرينية نحو أزمة مديونية (وأنا شخصياً اتفقت مع هذا الرأي وقدمت تفسيراً ماركسياً لذلك في العدد 147 لنشرة التقدمي، في مقالة معنونة «محاولة في تفسير الحلم البورجوازي»، إلا إنها لم تنطلق من تشخيص صحيح لنظام الإنتاج الرأسمالي كما هو في الخليج، وهو النظام الإنتاجي

الرأسمالي الكولونيالي. لكنني لستُ بصدد نقد هذه الأطروحات الآن، ولستُ بصدد طرح ما أعنيه بفرضياتي حول طبيعة رأس المال الكولونيالي.

لكن بإمكاني أن أقدم تعريفاً مقتضباً لما أحاول قوله (بربطه بموضوع المقال): افترض بأن شكل اقتران عناصر نمط الإنتاج الرأسمالي في البلدان الكولونيالية (الدول العربية، والآسيوية مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة، والدول الإسكندنافية، وبعض الدول الأوروبية مثل دول أوروبا الشرقية واليونان وإسبانيا والبرتغال، وأمريكا اللاتينية) هو مميز نوعياً عن شكل اقتران نمط الإنتاج الرأسمالي في البلدان التي أصبحت إمبريالية. اقتران مميز سمح لتسيّد العلاقات الإنتاجية الرأسمالية فيها في حقبة مميزة جداً من الرأسمالية؛ مرحلة الصناعة التبعية. ولما كنت أفرق، تبعاً لماركس، ما بين الافتراضات – المسبقة المنطقية [voraussetzung والافترضات – المسبقة التاريخية [historische Bedingungen، فإنني بطبيعة الحال لا افترض الظروف التاريخية العرضية في المفهوم المنطقي لمفهوم رأس المال الكولونيالي؛ أنه يتضمن هذه الظروف، أو الافتراضات، التاريخية كأمر واقع في مفهومه.

على ذلك أفهمُ بأن رأس المال الكولونيالي يتميز مفهومياً بأنه يتضمن اتجاهين متعارضين ذا معدلين تراكمين (ايّ وتيرتين) غير متكافئين: اتجاه كومبرادوري (وفي ذلك أعني رأس المال التبعي الذي تكون دورة إنتاجه، وبالتالي قيمته الزائدة، تابعة بشكل مذيل لرأس المال الإمبريالي) واتجاه محلي (وفي ذلك أعني رأس المال الذي تكون دورة إنتاجه، وبالتالي قيمته الزائدة، محلية). ولأن هذا التعارض الداخلي دائماً حاضراً، بمعزل عن الظروف التاريخية الملموسة، فإنني افترض بأن رأس المال الكولونيالي يتميز بالتوسع المحدود داخل بنيته الاجتماعية وخارجها (على العكس من توسع رأس المال الإمبريالي غير المحدود). ولما كانت البحرين قد شهدت تشكل العلاقات الإنتاجية الرأسمالية الكولونيالية فيها منذ منتصف القرن التاسع عشر، وبهذا المعنى تسيّدت العلاقات الفعلية للرأسمالية الكولونيالية فيها منذ منتصف القرن العشرين مما ولد فيها رأس المال الكولونيالي يقوده بشكله التاريخي رأس مال حكومي أساساً، فإنني أفهم كل مظاهر الرأسمالية كمجرد مظاهر مذيلة لهذه الحقيقة الجوهرية.

ليست عقلية إدارة رأس المال البحريني هي سبب الوضع الإنتاجي القائم على إنتاج النفط والتصدير، بل الشكل المحدد للنظام الرأسمالي في البحرين هو الذي يجعل من وجود هكذا عقلية أمراً ممكناً. لما كان، بشكل ملموس وتاريخي، رأس المال الكومبرادوري (والذي يمثله بشكل أساسي رأس المال الحكومي) يتطور بوتيرة أكثر سرعة من رأس المال المحلي فإنه – بضرورة حال – من الطبيعي أن يميل حيثما تميل طبيعة إنتاجه الكومبرادوري (كما هو محدد من قِبل المرحلة الحالية من التقسيم العالمي للعمل) نحو إنتاج النفط في المقام الأول؛ بمعنى كون الريع التفاضلي للنفط البحريني بالتحديد هو ريع يتحقق بشكل مذيل لرأس المال الامبريالي. وبينما لاستيراد العمالة الوافدة أهمية اقتصادية بالنسبة إلى رأس المال البحريني ككل (كظروف الإنتاج والأجور المنخفضة)، إلا أنه محدد بشكل مضاعف سياسياً وأيديولوجياً بهدف ضرب وحدة الطبقات الشعبية.

إن النظام الرأسمالي نفسه يفرض لهذه «العمالة الوافدة» هذا الأسلوب من الحياة الذي يسمح لتفشي أسرع للوباء بينها. ولما ارتأى للاشتراكيين البورجوازيين أنه من الأفضل التخلص من هذه العمالة الوافدة، عبر توقيف رأسماليين معينيين عند حدهم، فأنه الأجدر بهم أن ينظروا للمسألة بطريقة مختلفة تماماً: النظام الرأسمالي الذي يخلق عند العمالة الوافدة أسلوب الحياة الذي يسمح لتفشي الوباء بشكل أسرع هنا، سيسمح لتفشي الوباء بشكل أسرع عند المواطنين الفقراء في القرى والأحياء الفقيرة ايضاً بشكل سريع هناك. فالتباعد الاجتماعي ميزة طبقية قبل أي شيء آخر! المشكلة ليست في قسم من أقسام رأس المال، ولا في إصلاح القطاع الخاص (أو حتى تشريكه في إدارة رأس المال، وهذا مطلب ليس له معنى إذ أن الدولة الرأسمالية تمثل كل الرأسماليين)، بل المشكلة هي هي رأس المال ككل!

هذه المقالة لن تكون كافية لإثبات هذه القضايا كلها. ولهذا سيكون من الأجدر أن اكتفي بالتذكير بما كان يقوله الهائم لإيردا في أوبرا خاتم النيبولونغ:

استيقظوا!
من هذا النوم العميق استيقظوا!
أناديكم الآن:
من كهوف الأرض المخفية انهضوا!
من هذا السجن الذي رقدتم فيه طويلاً أنهضوا!

نضال متجدد

جواد المرخي

قبل عقود من الزمن قامت حروب ضارية متوحشة بين الدول الرأسمالية، ومنها الحربان العالميتان الأولي والثانية، واللتان خلفتا الويل للبشرية: الملايين من الخسائر والضحايا بين قتلى وجرحى ومعاقين ومشردين.

وكان السبب الرئيسي لنشوب هذه الحروب هو أطماع الرأسمالية الاحتكارية ونزعات الاستيلاء على ثروات الشعوب. هذا ما يؤكده كتاب "سياستان إزاء العالم العربي" للمؤلف بوندا ريفسك، الذي يحكي عن معاناة البلدان العربية من المستعمرين الأوروبيين والعثمانيين، والصراع المدمر على النفوذ في الوطن العربي بين الدول الاستعمارية للتحكم في مصيرشعوبنا، ولنهب خيرات أوطاننا الغنية بالموارد الطبيعية، خصوصا بعد اكتشاف النفط في الكثير من البلدان العربية. حينها أوعز الاستعمار بقيام وتنصيب حكام موالين له، إن كان للاستعمار العثماني او البريطاني أو الفرنسي إلخ، ولعب الاستعمار خصوصا البريطاني بالتواطؤ مع الصهيونية العالمية دورًا كبيرًا في تهيئة الأرضية للصهاينة لإحتلال فلسطين.

وصف قائد أول ثورة اشتراكية في روسيا عام 1917، فلاديميرلينين الإمبريالية بأنها مرحلة متطورة للرأسمالية الاحتكارية التي تخطت نهج الاحتكارات من النطاق القطري والقومي إلى النطاق العالمي، والعمل على استعمار البلدان الغنية بالموارد الأولية لتشغيل الصناعات في الدول الرأسمالية، ومن ثم جعل هذه البلدان محمية عسكرية لحماية مصالح الرأسمالية العالمية والهيمنة على الأسواق والطرق والموانئ في سبيل جني الارباح الطائلة لشركاتها الاحتكارية.

خاض الشرفاء الوطنيون في الوطن العربي النضال ضد المستعمرين ومن اجل التحرر والحرية، وقدّموا خيرة المناضلين، وعانوا من صنوف السجون والتشرد، وكواكب من الشهداء على طريق الحرية، وكان غالبية هؤلاء ينتمون للتيارات القومية العربية أو للأحزاب الشيوعية والماركسية، خصوصا أيام المد اليساري على مستوى العالم، إلا أن الشعوب العربية ما زالت تعيش أحوال البؤس والجوع والتشرد والتهميش، مع اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، وزيادة نسبة الفقر، مما ساهم في التحركات العفوية الجماهيرية التي عمّت بلدانًا عدة، وسميت بالربيع العربي عام 2011.

وبالرغم من فشل هذه التحركات العفوية الجماهيرية، بسبب هيمنة قوى الإسلام السياسي على تحركات الشارع العربي آنذاك، ما ساهم في نشر الأفكار الطائفية في بعض البلدان العربية، وتعزيزأنظمة المحاصصة الطائفية مثلما هو الحال في العراق ولبنان، وافتعال حروب أهلية في سوريا واليمن وليبيا، ما نجمت عنه أوضاع قاسية، حيث زاد فيها منسوب الفقر والجوع والتشرد، ثم شهدنا في السنتين الأخيرتين انتفاضات جماهيرية عارمة ساد فيها الوعي الوطني والديمقراطي في سبيبل التغيير الحقيقي، وبناء أسس العدالة الاجتماعية والديمقراطية والحقوق المدنية، بعيدًا عن النهج الطائفي، كما تجلى في انتفاضات الجزائروالسودان والعراق ولبنان، حيث كان للقوى اليسارية والتقدمية دور مهم فيها، لإخراج الوطن العربي من دائرة التخلف والاستبداد.

(قف)

«كورونا» كشف أكذوبة قيادة أمريكا للعالم

الوضع داخل الولايات المتحدة فيما يخصّ النظام الصحي والاستعدادات لمواجهة تفشي «كورونا» يطرحان تساؤلات كثيرة حول واقع الدولة الأقوى عالمياً عسكرياً واقتصادياً، ومدى واقعية هذا التوصيف الذي يتعرض للتشكيك منذ عقود، فهل يكون فيروس كورونا هو المسمار الأخير في نعش قيادة أمريكا للعالم؟ جاء ذلك في تعليق لموقع عربي بوست.

فهد المضحكي

خبير الشئوون السياسة والأمنية الأمريكي «آلان بيم» نشر مقالاً قبل عدة أشهر بعنوان «تراجع منحنى القيادة الامريكية للعالم – قوة من دون سلطة» توقف فيه عند السرعة المذهلة التي تتسبب فيها رئاسة دونالد ترامب غير المسؤولة في تقويض وضع أمريكا كقوة أولى على المسرح العالمي.

على الرغم من أن تراجع التأثير الأمريكي عالمياً ربما يكون قد بدأ مع مطلع القرن الحالي. بحسب بعض المحللين، فإن هذا التراجع أو بمعنى أكثر وضوحاً انكشاف «اكذوبة» الهيمنة الامريكية أصبح بيّناً وفي المجالات كافة منذ وصول ترامب إلى البيت الأبيض تحت شعاره « أمريكا أولاً».

وكما يقول بيم نجحت أمريكا في الحفاظ على وضعها العالمي على مدى نحو 7 عقود، رغم إخفاقات وسوء تقدير في أزمات سياسية ومغامرات عسكرية مثل الإطاحة بحكومة مصدق في إيران عام 1953، وحرب فيتنام وفضيحة خليج الخنازير وغزو العراق، وذلك بسبب استراتيجية ارتباط القوة بالسلطة التي اكتسبتها الولايات المتحدة من خلال نظام عالمي ليس مثاليا لكنه كان فاعلا.

ولكن خلال ثلاث سنوات فقط تحت إدارة ترامب، بدأ استخدام القوة فقط. فرغت السلطة من مضمونها، لتنكشف شرعية الهيمنة الامريكية في وقت شهد المسرح العالمي صعود لاعب اخر أكثر قوة وشراسة وهو الصين، وبروز لاعب قديم استفاد من التراجع الأمريكي وهو روسيا، وهو ما عجّل بانكشاف هشاشة القوة الامريكية أمام الأزمات المتلاحقة التي أشعلت إدارة ترامب كثيراً منه دون حساب العواقب.

واللافت هنا هو سرعة هذا التدهور في وضع الولايات المتحدة وسمعتها على المسرح الدولي، والذي يرجع إلى القرارات العشوائية التي يتخذها ترامب بناء على حسابات لحظية ضيقة، عكس ما يفترض بدولة تقود العالم أن تتصرف به. ومن المهم هنا الإشارة إلى التراجع الكبير في السياسة الخارجية الامريكية بعد ان أصبحت كل الملفات يديرها ترامب ومستشاره الأقرب صهره غاريد كوشنر، ويمكن هنا الرجوع لشهادة وزير الخارجية السابق ريكس تيلرسون أمام الكونغرس والتي كشف فيها كيف يتم اتخاذ القرارات بشأن السياسة الخارجية في عهد ترامب.

قدّم ترامب نفسه للأمريكيين بصفته «رجل الصفقات» ومنذ اللحظة الأولى لتسلمه منصب «زعيم العالم الحر» – كما يحب الامريكيون وصف رئيسهم – تصرف في الواقع كرجل أعمال يضع نصب عينه المكسب المباشر من أي صفقة، وليس كسياسي يقود القوة الأعظم عالمياً، وهنا نسرد أبرز «صفقات» الرجل.

فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، بشّر ترامب العالم أجمع بأنه سيكون الرئيس الذي يحسم هذا الصراع للأبد من خلال ما وصفها بصفقة القرن، ولكن الواقع كشف عن أكذوبة القرن، ان جاز التعبير، فعجّل نقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس (قرار أحجم عنه من سبقوه منذ تأسيس إسرائيل عام 1948)، ضارباً عرض الحائط بكل القرارات الدولية الخاصة بالصراع، ثم قرّر اعتبار الجولان السورية المحتلة جزءاً من إسرائيل، وأعلن اخيراً عن ضم المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة بالضفة الغربية والقدس إلى إسرائيل.

باختصار، أصبحت أمريكا دولة لا تعترف بالهيئات الدولية ولا بالقانون الدولي الذي كانت هي نفسها حجر الزاوية في تأسيسه قبل أكثر من 75 عاماً.

في الملف النووي الإيراني، قرر ترامب الانسحاب منفرداً من الاتفاق الذي وقعه سلفه باراك أوباما مع الشركاء بريطانيا وفرنسا وألمانيا، إضافة إلى روسيا والصين، لضمان خضوع النووي الإيراني للرقابة الدولية الصارمة.

وجاءت جائحة كورونا لتؤكد تلك السياسة الترامبية التي لا تحسب حساباً للحلفاء، فقد ابدى قادة الاتحاد الأوربي عدم موافقتهم على قرار الرئيس ترامب حظر السفر من أوروبا إلى الولايات المتحدة وسط وباء، وقال رئيسا المجلس الأوربي والمفوضية الأوربية، شارل ميشيل واورسولا فون ديرين في بيان، إن التفشي أزمة عالمية، لا تقتصر على أي قارة وتتطلب التعاون بدلاً من العمل الانفرادي.

ومع انتشار فيوس كورونا الذي أصاب العالم بحالة من الشلل، من الطبيعي أن نتساءل عن دور الدولة القائدة عالمياً في جهود مكافحة الفيروس عالمياً. لكن الولايات المتحدة لم تقدّم أي نوع من المساعدات لأي دولة حول العالم، ليس هذا وحسب؛ بل تشير تصريحات المسؤولين الأمريكيين – باستثناء ترامب إلى أن النظام الصحي هناك معرض للانهيار، وقد يكون غير قادر على مواجهة التفشي في الداخل الأمريكي.

واللافت هنا أن قادة البنتاغون صرحوا، بأن تفشي فيروس (كوفيد 19) في الولايات المتحدة قد يستمر عدة أشهر، في حين عبر عمدة مدينة نيويورك عن قلقه من أن تزداد الأوضاع صعوبة، لأن المدينة باتت مركزا للوباء في الولايات المتحدة، وهو ما جعل أطباء الولاية يصفون الفيروس بانه «تشيرنوبل نيويورك».

لكن فيمَ يفكر زعيم العالم الحر؟ هل يتخذ ترامب الذي حشره فيروس كورونا في زاوية ضيقة؛ الإجراءات الحتمية لإنقاذ الأرواح، أم يقلص تلك الإجراءات لينقذ ورقته الرابحة في عام الانتخابات وهو الاقتصاد؟ ويبدو انه اتخذ قراره بالفعل، فقد غرد يوم الأحد 22 مارس قائلاً: «لا يمكننا أن نسمح بإن يكون العلاج أسوأ من المشكلة نفسها»، وتبع ذلك بتصريح في مؤتمر صحفي بالبيت الأبيض: «أمريكا ستفتح مرة أخرى وبسرعة أمام النشاط التجاري». رئيس الدولة القائدة في العالم اذن يضع نصب عينيه الانتخابات الرئاسية في نوفمبر قبل أي شيء اخر، ولو تمثّل ذلك في وباء يهدد حياة البشر حول الكوكب، وتطلب مواجهته إجراءات حاسمة، أهمها التباعد الاجتماعي؛ لاحتوائه حتى يتمكن العلماء من التوصل إلى لقاح للفيروس.

وكما يقول سايمون رايتش البروفيسور في قسم الشؤون العالمية وقسم العلوم السياسية بجامعة روتجرز في نيويورك بمقال له بعنوان «نهاية قيادة أمريكا للعالم»: «بناء أي قوة لوضعها كقائد عالمي يستغرق وقتاً وجهداً، ويتطلب استراتيجية طويلة الأمد تلتزمها للنهاية، لكن وضع القيادة هذا يمكن فقدانه بطريقتين: الأولى تكون درامية من خلال تكاليف ثقيلة لحرب تنهي اقتصاد بلد حتى لو انتصرت تلك القوة في الحرب (بريطانيا العظمى خرجت منتصرة مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، لكن تكلفة الحرب ازاحتها عن قيادة العالم لصالح الولايات المتحدة.

«أما الطريقة الثانية فتكون تدريجية وتحدث من الداخل، وتشمل تحولاً ثابتاً عن الاستراتيجية طويلة الأمد نحو التركيز على المصالح فصيرة الأمد والبلطجة بدلاً من التعاون مع الدول الأخرى، وأبرز انعكاس لذلك التحول فرض عوائق تجارية وقائية من جانب الدولة القائد تجاه الدول الأخرى، وهنا يبدو المقصود هو الرسوم والتعرفة التي يفرضها ترامب على البضائع الصينية واستخدامها ضد المكسيك، ويهدد باستخدامها ضد أوروبا واليابان والهند وبقية دول العالم.

وعلى سبيل المثال، بنت بريطانيا العظمى زعامتها للعالم على التجارة الحرة، ولكنها اتخذت أول إجراءاتها الوقائية في السنوات الأولى من القرن العشرين، لتأتي الولايات المتحدة وتزيحها من على عرش قيادة العالم بعد نحو أربعة عقود وربما يكون من قبيل المصادفة في هذا الشأن أن أول إجراءات اقتصادية وقائية أمريكية اتخذها رونالد ريغان ضد اليابان قبل أربعة عقود ايضاً!

تأملات في «كورونا»

عصمت الموسوي

في عز الحصار، بعد انتشار وباء «كوفيد «19 المستجد وتحوّله إلى أزمة صحية عالمية ومطالبة السلطات الصحية في بلدنا للناس بعدم الخروج إلا للضرورة، طرق باب بيتي جاري الصغير قائلًا: أنا سلمان، عمري تسع سنوات، أبحث عن طفل يلعب معي.

• تأملت الشوارع الخالية من روادها بعد امتثال الناس لنصيحة: «لا تخرج من بيتك إلا للضرورة» وتساءلت هل كنا نذرع الشوارع وننفث عوادم سياراتنا ونلوث بيئتنا ونتسبب لأنفسنا ولغيرنا بحوادث السير المميتة ونحن في حالة ضجر؟ مجرد تزجية وقت وبلا ضرورة ؟

• عالمنا السابق الذي كنا نعرفه ونألفه، يصغر يومًا بعد يوم، شبكة الأصدقاء تضيق، الكلام يقلّ، في المقابل نشأت على أنقاض عالمنا القديم مساحات جديدة خالية بيضاء، نشتغل كل صباح لشغرها بهوايات جديدة وشغف جديد، وثمة فائض من الوقت للتدريب على الجديد.

• مررت اثناء التسوق في المجمعات التجارية بالكمامات بكثيرين عرفتهم ولم يعرفوني، استدرت ذات مرة بعد أن تخطيت زميلًا أعرفه، لكنه استدار قبلي كي يتأكد، التقت أعيننا خلف الكمامات، كلانا لم يتيقن من شخصية الآخر، لكن كلانا قرر مواصلة الطريق بلا سلام ولا اعتذار.عادي انه زمن كورونا

• هل صحيح أن الناس صارت تختبر وفرة من الوقت وتعجز عن ملئها؟ هل بدأت هذه الظاهرة مع كورونا، أم أنها كانت معنا منذ احتلال الأتمتة لكافة أعمالنا وأنشطتا الحياتية، ما أن يبدأ النظام وال»سيستم» الوظيفي بالعمل وحده حتى يتحوّل بشكل تلقائي إلى ساعات عمل وجهد أقل، فيجد الموظف نفسه فارغا «مكرونًا».

• تصرّ صديقتي أن كورونا لا يخلو من مؤامرةٍ ما، وأقول لها كما قالت الخنساء: «ولولا كثرة الباكين حولي على كوراناهمو لقتلت نفسي»، وصدقت المؤامرة.

• تصل نسبة الدقة لدى أجهزة فحص كورونا 8٪. كثير من المصابين نقلوا العدوى مع ثبات خلوهم من الإصابة، أهو فساد الأجهزة أم فساد المؤسسات التي اشترت الأجهزة، ام مهارة الفيروس في التخفي؟

• تعرّض متوفي جنوسان ذو السبعون عاما للفحص مرتين وجاءت النتائج سليمة، ذهب إلى بيته مطمئنا، مارس عددًا من الأنشطة وخالط العشرات ثم جاءت الفحوص الثالثة الأخيرة إيجابية، مات تاركا خلفه كوارث من التعطل والحجر واستنفار الأجهزة الصحية والهلع والخوف وفحوصات عديدة ومتكررة ومزعجة لبشر أبرياء، صادف وجودهم في محيط دائرته.

• النمو الذي حققته بعض البلدان في عدة سنوات، تبخرّ بسبب كورونا في عدة أيام، ومشاريع عملاقة جرى الإعداد لها ماليًا ولوجستيًا على مدى عقود تأجلت، السؤال ليس ما فعله بنا كورونا اليوم أو الآن، السؤال إلى متى؟

• دول كثيرة أعلنت خلوّها من الفيروس خشية على مصالحها، لكن فضحها المسافرون المغادرون منها، حين تدخلت منظمة الصحة العالمية بقوة في شأن الجائحة الجديدة وبدأت تنشر الحقائق والمعلومات حول هذه الدولة أوتلك، راحت عديد من الدول تعلن وتفصح وتنتهج الشفافية وتشير يومياً إلى أرقام المصابين والموتى والمتعافين، بدا وكأن هناك سباقا لنيل الجوائز والمكافئات والترضيات.

• كورونا هي القشة التي قصمت ظهر المسنين. كانوا قبل الوباء محاطين بأسباب السعادة، أبناء واحفاد ورعاية ودلال، فقدان كل ذلك هو الموت بعينه.

• ترى لو حلّ كورونا في عز الصيف والحر، هل كنا سنتأفف من الحجر والحصار وعدم الخروج إلا للضرورة؟ الم يسرق كورونا ربيعنا القصير مما ضاعف حسرتنا على ضياع هذا الوقت الجميل؟

• المدن الضخمة التي أقيمت على بحرنا المدفون واستنزفت ثرواتنا البحرية ورمالنا وبيئتنا وأشجار القرم على مدى سنوات، ربما قد حان الوقت للتوقف عن مواصلة الاستثمار فيها بعد تشبع هذا النشاط الاقتصادي وخلو المدن من قاطنيها، والتوجه الجاد الى معالجة البحر وتصحيح اختلالاته وإعادته الى أهله وناسه بوصفه مورد الغذاء الأصلي لأهل الجزيرة البحرية، والسلعة المستدامة وغير الناضبة.

• من المفارقات أن المدن البحرية الاستثمارية ذات الطابع الرفاهي البذخي والتى خلت من قاطنيها، تحوّل بعضها إلى مكان لحجر مصابي كورونا .

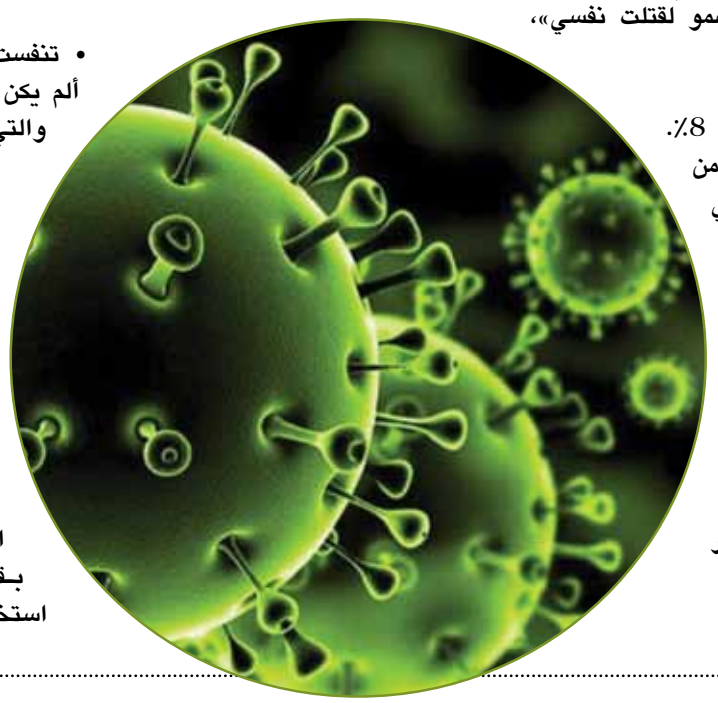

• تنفست الطبيعة نسبيًا بعد انحسار الأنشطة البشرية، ألم يكن كورونا إنذارًا أخيرًا لتدارك أزمات المناخ المتراكمة والتي لم تجد صدى لاستغاثاتها في السنوات الماضية؟

• في زمن كورونا نحتاج الى نصائح وفتاوى الأطباء والمختصين فقط.

• هاتفي أيضا لم يعد يرن إلا للضرورة. أين ذهب كل هؤلاء المحفوظة أسمائهم في ذاكرته ؟هل تبخر الأصدقاء، أم أنه مزاج كورونا الذي غيَّر كل شي؟

• سؤال أخير: هل صحيح أن أجهزة الاستخبارات في الدول الكبرى عجزت عن التنبؤ بقدوم الجائحة والاستعداد لها، أم انه فشل استخباراتي بامتياز ؟

بصراحة

الأفق الاشتراكي: ما بعد «كورونا» ليس كما قبلها

فاضل الحليبي

كشفت جائحة كورونا عن حقائق عدة، وبالأخص سوء النظام الصحي في الولايات المتحدة والدول الأوروبية التي لم تكن مؤهلة أو مهيئة للحالات الطارئة، حيث تعرّت تلك الدول التي كان يعتقد بأنها متقدمة في هذا المجال، وإذا بها تستغيث وتطلب المساعدات العاجلة من دول أخرى من خارج الاتحاد الأوروبي، مما شكّل خيبة أمل لدى شعوبها التي مات منها الآلاف وبلغ عدد المصابين عشرت الآلاف أيضاً، حيث يقترب عدد المصابين في العالم من نحو ثلاثة ملايين إنسان.

كما أدّى هذا الوباء إلى خسائر كبيرة في القطاعات الاقتصادية والمالية والصناعية والتنموية وغيرها مما يسوق الآلاف بل الملايين من شعوبها إلى البطالة، حتى وإن وضعت مليارات من اليورو من قبل الاتحاد الأوروبي وكذلك على صعيد كل بلد أوروبي، فإنه لن ينقذ الوضع المتفاقم لديهم، فستكون هذه الدول بحاجة إلى مشاريع وخطط أكبر وأعظم من مشروع مارشال الذي وُضِع للبلدان الأوروبية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945.

فهل سيخرج الاتحاد الأوروبي من هذة الأزمة وهو موحد دون شرخ أو تفكك في وحدته، أما تبقى وحدته شكلية، لأنها كشفت عن ضعفها وهشاشتها، ففشل في تقديم المساعدات الضرورية لأكثر من دولة من دول الاتحاد، ويجمع كبار المحللين السياسيين والاقتصاديين بأن العديد من البلدان وبشكل خاص الأوروبية منها سوف تحدث فيها تغيرات ربما تكون كبيرة في هيكلية الدولة ونظامها السياسي والاقتصادي، وغاية القول إن ما قبل كورونا غير مابعدها.

هل يصبح التوجه نحو الاشتراكية خيارًا شعبيًا بديلاً عن الرأسمالية التي كشفت جائحة كورونا عن وحشيتها وجشعها وضعفها وعدم إنسانيتها، عندما عجزت حتى عن دفن ضحايا كورونا من الموتى و تركتهم مكدسين بإعداد كبيرة في ممرات ومكاتب المستشفيات لأيام في بعض البلدان الأوروبية وفي الولايات المتحدة الامريكية زعيمة الرأسمالية العالمية وصاحبة أقوى اقتصاد في العالم التي عجزت حتى عن توفير المعدات الطبية كأجهزة التنفس، لا بل والكمامات وغيرها لمواطنيها.

كشفت الأزمة حقيقة ووقاحة النظام الرأسمالي الاستغلالي المعادي لحق الإنسان في الحياة، وفي نيل الرعاية الطبية، فتخلت عن المصابين في هذه الظروف المرعبة والقاسية، فالتوحش الرأسمالي لا يقيم وزنًا للمبادئ والأخلاق والقيم الإنسانية، فهو قائم على أسس نهب وسرق خيرات وثروات الشعوب والبلدان من خلال شركاته الاحتكارية العابرة للقارات ومن خلال أذرعه المالية والاقتصادية متمثلة في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي اللذين يفرضان شروطهما وإملاءاتهما على العديد من البلدان والشعوب لكي تبقى تحت رحمتها، وتصادر سيادتها الوطنية.

خابت أطروحة مؤلف كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) الأمريكي، من أصل ياباني، فرانسيس فوكوياما، الذي صدر في عام 1992 ونال صاحبه شهرة كبيرة وواسعة في العالم، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية في نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن الماضي، وبشّر فيه بانتصار اللبيرالية الرأسمالية، زاعمًا إنتهاء عصر الإيديولوجيا، وبروز قيم الحرية الفردية واقتصاد السوق، وركّز في كتابه على تشويه تاريخ الاتحاد السوفياتي والفكر الاشتراكي، زاعمًا أن الليبرالية لم تنتصر كفكرة فقط، بل حققت تقدمًا على صعيد الاقتصاد، وأشاد بقدرتها على تجديد نفسها، فماذا يقول اليوم بعد الفضائح التي كشفت جائحة كورونا عنها، وأين هي القيم والمبادئ الليبرالية التي تشدّق وبشّر بها وبانتصارها.

عندما نشر فوكوياما كتابه في بداية تسعينيات القرن انساق وراء أطروحاته العديد من المثقفين بما فيهم بعض الماركسيين الذين لبسوا ثياب اللبيرالية وأفكارها، ولا نعرف ما إذا كانوا لا يزالون على نفس التأييد بعد أن تحولت النيوليبرالية إلى عولمة الاقتصاد والاستحواذ على مقدرات وثروات الشعوب، وتفشت البطالة وقلّ الدعم المالي والاجتماعي المقدم من الحكومات لشعوبها وبالأخص للفئات الفقيرة منها مما يؤدي إلى خلق المشاكل والاضطرابات في تلك البلدان .

واليوم هناك من يفكر من الاستفادة من النظام الاشتراكي وما يوفره من مزايا اجتماعية وصحية وتنموية لشعوبه، وسبق أن استفادت الأحزاب الاشتراكية والاشتراكية الديمقراطية التي حكمت ولعقود من السنوات دولاً إسكندنافية كالسويد والدنمارك والنرويج من التجارب الاشتراكية وبالأخص في أبعادها الاجتماعية والصحية والتنموية وطبقتها هناك، لهذا كانت تصل الحكم في أغلب الدورات الانتخابية التي تخوضها كل أربع سنوات، وإنْ أخفقت في بعض الحملات الانتخابية لأنها لم تنفذ ما وعدت به ناخبيها لهذا يعاقبها الشعب، فهل تعاقب شعوب أوروبا حكوماتها بعد أن فشل النظام الصحي في توفير الرعاية الصحية المطلوبة لهم في جائحة الكورونا؟

تنبوءات وقراءات عديدة من قبل مفكرين وكتاب عن المستقبليات والاستراتيجيات بعضها قديم وآخر جديد، ترى بأن العالم سوف تحدث فيه تغيرات كبيرة تشمل دولًا مثل الولايات المتحدة الأمريكية، قد يبلغ حدّ تفككها. وتجري الإشارة خاصة إلى ولاية كاليفورنيا لكبر حجمها كأراضٍ وسكان يبلغ عددهم 40 مليون نسمة، وتملك ثروة مالية واقتصادية كبيرة، ويذكرون في كتاباتهم بأن إمبراطوريات سادت ثم بادت، مثل الإمبراطورية البريطانية، ويشيرون أيضاً إلى ما كتبه الكاتب الامريكي توفلر في كتابات له في عام 1987 بأن الاتحاد السوفياتي سوف يتفكك، رغم أن ما جرى للاتحاد السوفياتي له أسباب مختلفة ساعدت على انهياره، ويقولون بأن الدور، في التفكك، قادم على الولايات المتحدة الأمريكية.

الموضوع ليس فيما سوف يحدث لتلك الأنظمة السياسية، ولكن الخيارات أو المسارات المستقبلية في أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، وموضوعات كانت ولازالت تطرح وبقوة مثل العدالة الاجتماعية والمساواة، ردم الهوة مابين الفقير والغني، بمعنى التوزيع العادل للثروة وينطبق هذا على البلدان الفقيرة والغنية، فهل تكون الاشتراكية الخيار المفضل للشعوب والبلدان، بتجاوز أخطاء الماضي والاستفادة من الإيجابيات وتطويرها لبناء مجتمع العدالة الاجتماعية والديمقراطية والمساواة.

النظام الاشتراكي أعطى نموذجاً رائعاً للعديد من الشعوب والبلدان، عندما قدّم مساعداته الطبية حول العالم، كما فعلت الصين وكوبا الفقيرة والعظيمة بثورتها ومبادئها، والمحاصرة منذ ستين عاماً من قبل الإمبريالية الأمريكية، والتي صمدت وحافظت على مبادئ الثورة الاشتراكية، حيث سارعت في تقديم خدماتها الطبية للدول الرأسمالية التي ناصبتها العداء طوال تلك السنوات الستين، وروسيا التي ورثت الاتحاد السوفياتي قدمت أيضاً خدماتها الطبية لتلك الشعوب الأمريكية والأوروبية، لترينا الفرق بين نظامين وفكرتين، فهل يتشكل نظام عالمي جديد، وتشرق من جديد شمس الاشتراكية؟.

رضي السمّاك

المهام النضالية الراهنة في عصر كورونا

منذ انتهاء الحرب الباردة مطلع تسعينيات القرن الماضي، وعلى مدى ثلاثة عقود لم تتعرَ أخلاق الرأسمالية في طورها المتوحش كما تعرت مع تفشي جائحة «كوفيد – 19»، وكلنا نعرف بأن الشواهد على ذلك أكثر مما تحصى حتى باتت تغطي معظم البلدان التي اجتاحها الوباء، ومنها على وجه الخصوص التي تتصدرها في عدد الإصابات والوفيات، كإيطاليا وإسبانيا والولايات المتحدة التي أضحت بؤرة انتشارة حتى ساعة كتابة هذه السطور (أواخر مارس / آذار).

ومع أن ثمة محطات مهمة من الأحداث العالمية خلال فترة الثلاثين سنة الماضية نفسها (1990– 2020) تعرّت خلالها الأخلاق الحضارية المزعومة للرأسمالية المتوحشة، سواء من خلال الحروب العدوانية التي شنّتها الولايات المتحدة – بمفردها أو مع «الناتو» – باسم محاربة الإرهاب ومساعدة الشعوب على إسقاط أنظمتها الدكتاتورية وإحلال أنظمة ديمقراطية محلها، إلا أن المحطة التاريخية الراهنة ممثلة في جائحة كورونا هي المحطة الأهم، في تقديرنا، التي وضعت تلك الأخلاق العفنة على محك الواقع الفعلي أمام مرأى الرأي العام العالمي بأسره بلا رتوش؛ ودونما حاجة لتوعيته وتنبيهه عنها من قِبل أو أي من شرفاء العالم .

على أن كتّاب اليسار، من باحثين ومحللين ومتخصصين كبار في شتى مجالات العلوم الإنسانية والعلمية، إنما برز دورهم في هذه المحطة / المرحلة من خلال ربط تلك الظواهر المتجردة من كل معايير الاخلاق والقيم الإنسانية ووضعها تحت المجهر العلمي المادي لتشريحها وربطها بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بحيث لم يستطع حتى كبار مفكري الرأسمالية ومنظريها تبريرها .

وفي هذا الشأن نستطيع القول بأنهم استطاعوا عن جدارة، على تفاوت مستوياتهم وخبراتهم وتجاربهم ومؤهلاتهم، أن يدبجوا مئات المقالات والدراسات العلمية الرصينة؛ ولربما أعداد منهم تعكف الآن على تأليف كتب قد تصدر خلال الجائحة، وبعضها الآخر لعله يصدر بعد استصال الفيروس من على وجه البسيطة.

لكن ثمة كتابات نُشرت ليساريين بدت وقد شطح الخيال بكتّابها إلى ما هو أبعد من تعرية وإدانة الرأسمالية، ليس إلى التبشير بقرب زوالها فحسب، بل ونحى بعضهم الآخر منحى الحنين اللاشعوري بتذكير العالم بإيجابيات النماذج الاشتراكية السابقة أواخر القرن الماضي وكأنها معجزات مبهرة لا يأتيها الباطل لا من أمامها ولا خلفها، غير مقترتة البتة بأي تجاوزات خطيرة من مطبات الممارسة والتطبيق؛ وهذا في تقديرنا ليس ما يجانب الصواب فحسب؛ بل يفضي انطلاقاً من حسن نوايا إلى نتيجة عكسية في في وصول الرسالة للمتلقي القارئ ، أكان ممن سبق الإطلاع بهذا القدر أو ذاك على تلك الممارسات وتكونت لديهم صورة وردية من ثم أضحوا شديدي الاحباط من تلك التجارب لكنهم غير معادين للفكر الاشتراكي، أم من المعادين له ومطلعين إطلاعاً واسعاً كافياً على تلك التجارب، لكن بعيونٍ ماكرة حاقدة لا بعيون ناقدة نقداً موضوعياً محايداً، ومن ثمَ قد يستغلون مثل تلك الكَتابات لتوظيفها لتجديد انتقاداتهم الديماغوجية المضللة الخبيثة.

وتأسيساً على كل ما تقدم نرى أن المحطة التاريخية الراهنة المتمثلة في جائحة كورونا التي نحن شهود على فصولها التي لما تنته بعد، إذ تشكل فرصة مثلى لقوى اليسار في العالم للملمة صفوفه وتقويتها ينبغي ألا تقتصر على خطاب فضح أخلاق الرأسمالية فحسب، رغم أهميته ومشروعيته، أو الإفراط في التغني بالماضي العتيد لأمجاد الاشتراكية؛ بل يتوجب عليها بأن يقترن كل ذلك بتقديم نفسها للجماهير المتلقية كقوى يسارية جديدة ديمقراطية ذات مصداقية قولاً وفعلا وخُلقاً قادرة على اقناعها بجدارة كممثلة بديلة عن كل القوى اليمينية والشعبوية والرجعية التي تمكنت من استمالة شرائح أو إلى صفوف منها، ثم نجحت – بدرجة أو بأخرى – مستغلةً في ذلك ظروف الانكسار الكبير الذي ما برح اليسار العالمي يعاني منها منذ ثلاثة عقود على انهيار «المنظومة الاشتراكية».

وهذا لن يتأتى بطبيعة الحال إلا من خلال إعمال الفكر والعقل لمقاربة ترسم خريطة أو معالم طريق لاستشراف المهام النضالية الجديدة الاستثنائية وذات الخصوصية والسمات المتوافقة مع ظروفنا عصرنا الدولي الراهن خلال مرحلة جائحة كورونا.

الأزمات تكشف المستور

تعاني الشعوب العربية من التخلف العلمي والاقتصادي والسياسي ومن عدم المساواة وانعدام العدالة الاجتماعية والاقتصادية بين المواطنين، وحرمانهم من تمتعهم بالحريات العامة وحقوقهم الإنسانية، وحرمانهم من ان يحكموا أنفسهم بأنفسهم وبمحض ارادتهم، مسترشدين بدستور يجسد العقد الاجتماعي ويكرّس سيادة الشعب ويشرع لنظام ديمقراطي يلغي كل اشكال التمييز بين المواطنين على أساس عرقي او قبلي او ديني وطائفي. نظام ديمقراطي يكرس الشفافية، ويتمتع افراد الشعب بتكافؤ الفرص في العمل للجميع. دستور يؤسس لنظام حكم ديمقراطي حقيقي، وليس يافطة دعائية لتحسين سمعة تلك الأنظمة الخاضعة للهيمنة الامريكية ودول حلف الناتو.

منصور حسين

لقد حان الوقت لوضع حدٍ نهائي وذلك بإخضاع هذه الأنظمة إلى عملية تطوير وتأهيل لتصبح أنظمة حكم ديمقراطية وتصير فيه الدولة مؤسسة قانونية توفر الخدمات والأمن لجميع المواطنين من دون تمييز. لقد بددت هذه النظم العربية ثروات بلداننا في أعمال البذخ أو في صرفها على شراء الأسلحة وتكديسها في القواعد العسكرية.

كما نتج عن التبعية السياسية للغرب صرف مليارات الدولارات في الحروب العبثية، بدلًا من أن تصرف على البنية التحتية الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية وتطويرها بما توفره السوق الدولية من التقنيات العلمية. تلك الأخطاء العربية التي تراكمت، فوتت آلاف الفرص الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية في توظيفها في البناء الوطني والتنمية المستدامة. انغماس أنظمة الحكم في الانحياز في الصراع الدولي والتورط في أنشطته العدوانية أدى إلى بقاء الدول العربية في مقدمة الدول المتخلفة في النظام العالمي.

لقد أشار العديد من القيادات الغربية بالنقد الى حكومات الدول العربية، وكان على رأسهم الرئيس الذي كان مستمرا في كل مناسبة في توجيه اللوم والتقريع لقيادات الدول العربية السياسية الذي وصفهم انهم غير ديمقراطيين ينتهجون سياسات معادية لمصالح شعوبهم رغم وجود الثروات الطبيعية والثروة البشرية المقموعة والمحرومة، من الاستفادة من تلك الثروة في توظيفها في عملية التطوير، وتحسين المستوى المعيشي وتطوير البنية التحتية والتعليم والصحة والصناعة وانجاز الدولة المدنية الحديثة القائمة.

وعندما تمّ انتشار جائحة فيروس كورونا انكشفت سوءات الأنظمة الغربية التي تتبنى اقتصاد السوق واقتصاد الشركات التي اختزلت حقوق الشعوب الغربية الكادحة، وهشاشة منظوماتها الأخلاقية والقيمية في مفهوم الاستثمار لتحقيق الأرباح، وفرض الضرائب على المواطنين. هكذا نأت أنظمة الحكم الغربية من تحمّل المسؤولية تجاه مصالح شعوبها في الشؤون الصحية والاقتصادية والتعليم وتكدّست الثروة في جيوب 2٪ من عدد السكان، وزاد الانفاق على التسلح وأنشطة التجسس وشنّ الحروب ضد أنظمة الحكم التي تغرد خارج هيمنة حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة الامريكية.

فأي مسافر إلى دول أوروبا مثل بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الغربية يمكنه أن يرى ألوف المتقاعدين من الطبقة العمالية الذين أحيلوا إلى التقاعد يعيشون في مستوى الفقر، يتسكعون في الشوارع ويركنون بأنفسهم في المقاهي طوال النهار ويلبسون ملابس متواضعة. فلا الشركات تهتم بهم ولا الحكومات ترعاهم وتوفر لهم الضمان الصحي المباشر، بل تستمر في فرض الضريبة عليهم، وأن الإعفاءات على مداخيلهم هامشية.

فقد تركت الأنظمة الرأسمالية الغربية مسؤولية الخدمات الصحية الى المستشفيات الخاصة، التي تبين أن هذه المستشفيات تفتقر إلى الأجهزة الطبية الحديثة التي تستخدم في علاج الحالات الحرجة والخطيرة، وأن المصابين بفيروس كورونا يتعرضون للموت، وخصوصا كبار السن وأصحاب الأمراض المزمنة، وأن على المرضى أن يدفعوا مصاريف العلاج مقدمًا إلى المستشفيات أو العيادات، ومن ثم تقديم فاتورة العلاج إلى شركة التأمين المعنية لاحقًا، ومن لم يكن له المال الكافي للدفع مقدمًا إلى المستشفى، فإنه لا يستطيع الحصول على العلاج.

فيروس كورونا فضح الزيف المستور. فإذا بالدول ألوروبية المتطورة والولايات المتحدة الأمريكية تعاني من مشكلة نقص المستشفيات، ونقص الكمامات والأجهزة الطبية في المستشفيات التي تسهم في انقاد أرواح المصابين الذين يموت يوميا منهم المئات في هذه الدول.

لقد تنفست الدول العربية الصعداء، لتزعم أنها أفضل حالاً من الدول الغربية وأمريكا، وأن النظام الصحي في بلداننا العربية مازال بخير، وأفضل من نظيره في الدول المتقدمة. فكل دولة عربية مستمرة في دعم الخدمات الطبية المتعددة وترصد لها مبالغ كبيرة من الملايين في الموازنات العامة للدولة، لكن حال الخدمات الصحية في الكثير من دولنا العربية مغاير لما تروج له الماكينات الإعلامية. المستشفيات في الغالب الأعظم من هذه الدول قليلة، وتنقصها الأجهزة الطبية التكنولوجية الحديثة، وإن وجدت فإن عددها في كل مستشفى قليل وبعضها معطوب ويحتاج إلى صيانة دائمة. فأجهزة القلب وغسيل الكلى والتنفس الصناعي والتصوير الحديث كلها محدودة. كما ان الرقابة الفعالة على السلع الغذائية والتفتيش الصحي على محلات البيع أيضا ضعيفة أو معدومة.

قلة الإصابات والوفيات بفيروس كورونا ليس بسبب تطور الخدمات الطبية في الدول العربية، وإنما بسبب قلة الكثافة السكانية، وضعف حركة المواصلات البرية والبحرية والطيران بين الدول العربية، وضعف الأنشطة الاقتصادية بشكل عام. كذلك اختلاف المناخ السائد في الدول العربية، عنه في الدول الغربية وأمريكا، فلو الجائحة أصابت دولنا بنفس القوة التي أصابت بها الدول الغربية، لأصبح عدد الإصابات والموتى يعدّ بالآلاف وواجهت الشعوب العربية ازمة صحية تضاهي ما تواجهه الان امريكا ودول أوروبا والصين وايران وكوريا الجنوبية واليابان.

تنويه واعتذار

في مقال «خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي» المنشور في عدد «التقدمي» لشهر إبريل الماضي، سقط سهوًا، أثناء إخراج العدد، اسم كاتب المقال الرفيق منصور حسين. «التقدمي» إذ تعتذر من الرفيق منصورعلى هذا السهو، تلفت نظر القراء إلى هذا التنويه.

موسم التغيّرات الكبرى

فجأة انهارت دعامات «السوشل ميديا». انهارت دفعة واحدة، بعد أن كشف الحجر الصحي هشاشة علاقاتنا الإلكترونية والإفتراضية، وأعادنا إلى فرضية أرسطو مئات السنين قبل الميلاد. لقد أصبنا بقلق البقاء في البيت، ضجرنا من الأمن الذين تمنحه لنا بيوتنا وأفراد أسرنا، بلغ بعضنا حالات اكتئاب حادة، وقد تحدثت في مقال سابق عن تزايد العنف المنزلي لدرجة دق نواقيس الخطر في بلدان عديدة، لأجل حماية النساء والأطفال من هذه الظاهرة، وأكثر من ذلك عبّر البشر في أوساط مختلفة أن الإحتكاك البشري وجها لوجه أهم بكثير من التواصل الإجتماعي عبر الهواتف الذكية ووسائل إلكترونية أخرى.

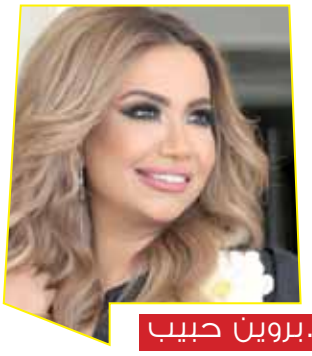

د.بروين حبيب

لم يصمد الإنسان أسبوعا واحدا أمام الحجر المنزلي، كسرت قواعد الحجر في العراق والجزائر ومصر ودول أخرى، تماما كما في بلدان اعتقدنا طويلا أن شعوبها دجنتها التكنولوجيا، وأصبحت غير اجتماعية مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، وحتى سويسرا...

تمرّدت الطبيعة البشرية على النمط الحياتي الجديد، على الرغم من أنه مؤقت، رفضت الحصار بكل مميزاته الآمنة، بحيث غامر أفراد كثر بحياتهم من أجل رؤية صديق، أو قريب، أو فقط من أجل رؤية الغرباء في الشارع. مع أن الأمر لا يستحق المغامرة.

استعملت أنظمة خلاصة حكمتها فأنزلت فرقًا من الشرطة بعصيّها لزرع الرعب بالضرب في مواطنيها للسيطرة على الوضع، فيما أقامت أخرى حواجز أمنية وألزمت المتمردين على الحجر بغرامات مالية عالية لإجبارهم على الإلتزام. تفننت الحكومات في إيجاد الحلول اللازمة كل حسب أمزجة شعوبها، فيما انتبهت حكومات أخرى مثل أمريكا وفرنسا وبريطانيا إلى الكم الهائل من «المشردين» الذين لا بيوت لهم ، ووجب إيواؤهم بسرعة. وبين من لديهم بيوتا ولا يريدون المكوث فيها، ومن يحلمون ببيوت تأويهم، أبتُكِرت قوانين، وأفكار بعضها قمة في الغرابة حتى تمر هذه الجائحة بأقل أضرار ممكنة.

بعد أسبوعين من الحجر، ملّ الناس من هواتفهم الذكية، سقطت «معلومة مواقع التواصل الإجتماعي» رغم تناقلها بشكل عفوي، وأصبح البحث عن مصدر المعلومة هو المهم.

فشل كثيرون في الترويج للمعلومة الخاطئة بعد أيام فقط من تصاعد أرقام الإصابات والوفيات في العالم، لم تعد الغرغرة بالماء والملح وأكل الفول المدمس مع تتبيلة جيدة من الحامض والثوم، والملوخية المصرية علاجات ناجعة لهذا المرض الغريب الذي لا تنفع معه المواجهة البطولية بولائمنا وأطباقنا التقليدية، بل تستلزم مواجهة من نوع آخر، تتمثل بالمكوث في البيت، واحترام الإجراءات الوقائية اللازمة.

صاحب هذه الظاهرة الجديدة رواجًا واسعًا لمقاومة الحجر بالقراءة أو بمشاهدة أفلام سينمائية مرتبطة بالأوبئة والكوارث، لم يكتف البعض بالجلوس أمام الشاشة ومشاهدة الحكايات المؤلمة لأبطالهم، ولد لديهم فضول غريب لمعرفة أصول الحكاية، وكمِّ الوقائع الحقيقية فيها، بعض الأفلام أحالت متابعيها مباشرة إلى روايات وكتب تاريخ وأبحاث في الأوبئة والطب والإكتشافات العلمية، وهكذا في غضون الأزمة عاد كثر إلى البحث عن المصادر، لأن المعلومة الخاطئة لم تعد قادرة على تلبية الحاجة للمعرفة.

حدث هذا في عدة أسابيع قليلة، وقد تجاوز الأمر عمليات البحث والتنقيب الفكرية هذه إلى تعلُّم أمور جديدة في الحياة، البعض سارع إلى زرع مساحات كانت جرداء على مدى سنوات أمام بيوتهم، بدأوا بأحواض صغيرة في شرفاتهم، ثم توسعت بهم الهمّة لتشمل مساحات أخرى. أدهشتني شخصيا طريقة زرع البطاطا في أكياس القماش، وزراعة شتائل الفراولة في براميل مثقوبة وفي علب الحليب الفارغة في عملية تدوير جميلة.

في ريبورتاج أثار حماسي، تعمل عائلة بريطانية على استقطاب الناس إلى مزرعتها، عبر الترويج لها عن طريق فايسبوك، الزوار يتأملون الدجاجات وأطفالهم منبهرون بمنظرها، يقتنون خضروات وفواكه وبيضًا طازجًا في منظر استثنائي كسر تماما صورة التسوق النمطية التي سيطرت على المدن في العالم أجمع، إنّها طريقة التسوق الآمنة بعيدا عن الأسطح التي تتربع عليها الكورونا في انتظار ضحاياها.

وفي ظاهرة أخرى تقدّم فرنسا إحصاءً غريبا عن أربعة ملايين شاب وصبية، عادوا إلى عائلاتهم، تاركين خلفهم حياة الإستقلال والحرية، وأغلبهم فسّر ذلك على أنّه الحاجة للشعور بالأمان مع الأهل، أو الشعور بالمسؤولية تجاههم، فيما قبل الكورونا كان الأمر وإن خطر على بال هؤلاء، يكون عابرا دون أية قرارات جادة.

تستمر الأرض في دورانها الروتيني، فيما تشق الأزمة طريقها غير آبهة بالتغيرات، أمّا الإنسان فقد أدهش نفسه بمدى قدرته على الإبتكار، وكسر روتين يومياته، وهزم عدوانيته في كثير من الأحيان.

من قال إن الرجال سيقتحمون المطابخ؟ لقد فعلوها حتى في عقر مجتمعاتنا المحافظة، بعضهم نشر مفتخرا صور إنجازاته، وقد روّج البعض إلى أن المنتجات الغذائية حققت أرباحا عظيمة وسط الكساد الإقتصادي العالمي، لأن الرجال خلال الحجر يستهلكون ضعف ما تستهلكه النساء من الطعام، وأيًا كانت هذه التغيرات، فإنّ بعضها جيد، والبعض الآخر سيء، لكن دعاة انتصار العالم الإفتراضي والتعلم عن طريق الأونلاين، إمّا انهارت أو على وشك، لقد ثبت أن الأطفال لا يمكن ضبطهم وإيصال المعلومات إليهم عبر الأونلاين، إذ يحتاجون إلى احتكاك مباشر بأساتذتهم وزملائهم وفضاء المدرسة لأنه أكثر تحفيز على التعلم.

ولعلّ موضوعا كهذا يحتاج لمساحة أكبر لمناقشته ومعالجته، لكن بالمختصر لقد احتاجت الدراسة عن بعد لتلاميذ دون الثامنة عشرة إلى عمل إضافي يمارسه الأساتذة والأهل معا، وهذا أيضًا إكتشاف بالنسبة للأطراف جميعها. تلاميذ المدارس أصبح حلمهم الوحيد أن تنتهي أزمة كورونا ويعودوا لمقاعد الدراسة، كونهم افتقدوا للأجواء المدرسية الحقيقية.

لم تعد هذه الحياة الثانية، الموازية للواقع مقنعة، لقد تقلّصت أهميتها اليوم، لكنّها في الوقت نفسه صححت الكثير من العلاقات، وأكّدت أن المسافات جيدة للإبقاء على حرارة المشاعر بين الناس.

بالتأكيد تحققت لكثيرين أمكانية العمل من البيت، لكن هذا لا يعني أن الإنسان قد يتحوّل ذات يوم إلى كائن متوحّد قد تعوّضه أجهزته عن الإجتماع ببني جنسه. تحقق له ايضا أن يعرف الخبر في لحظة حدوثه، لكنه لن يستغني أبدا عن التأكد من صحبته بالإتصال بأحدهم، لقد أثبت صناع الصورة، ومهووسي مواقع التواصل الإجتماعي أن التلاعب بأي خبر ممكن وسهل، لذا يصعب الوثوق بسيل الأخبار المنهمرة من قنواتها التي لا تعدّ ولا تحصى.

بقي أن نسأل في الأخير، هل يمكن أن تتغير أحوال المكتبات بعد جائحة الكورونا؟ هل سيدخل القارئ المخدوع بمعلومات تلك المواقع المزيفة إلى المكتبات بحثًا عن أمهات الكتب؟ هل سيبرر بعده عن القراءة بقلّة الوقت؟ بعد أن بلغ حالة التخمة في زمن الكورونا، تخمة من فائض الوقت، وتخمة من المعلومات الزائفة التي أحرقت أعصابه. أليس إذن ما نعيشه اليوم تعويضا جيدا لكل الوقت الذي أهدرناه ؟ ثم ألا نشعر بنوع من النضج الذي لم يسبق لنا أن شعرنا به سابقا في خضم دوامتنا اليومية المتكررة دون توقف؟

ما ندركه حتما هو أن الوعي تقدّم خطوات جبارة نحو الأمام، فقد توصلت البشرية جمعاء إلى أهمية الجماعة، والعائلة، والأمورالجادة في حياتنا، وأكثر من ذلك، برزت مفردات ميّزت القاموس اللغوي اليومي لفئات واسعة بين الناس، أهمها مفردة « أخوة» و«تعاون» و«محبة» أليست هذه نعمة من نعم الله علينا؟ في ظرف ثلاثة أشهر أصبحت اللغة أكثر لينًا بين الناس، وأصبحت الأفعال أكثر من الأقوال على الميدان.

ماركس والسُكّان الأصليين في المُستعمرات (٢ – ٢)

كان كتاب William Howitt "الإستعمار والمسيحية» يتضمن أكثر من خمس مائة صفحة ومن ضمنها فصول مُنفرِدة حول مُعاملة السكان الأصليين عن طريق القوى الإستعمارية في مناطق مُتعددة في العالم، مع اثني عشر فصلاً مُخصصة لكيفية تصرف الأسبان والبرتغاليون فيما يتعلق بالسكان الأصليين في العالم الجديد، ثلاثة فصول عن المستوطنين الإنجليز والسكان الأصليين في أمريكا الشمالية، وفصلين عن "معاملة الهنود في الولايات المتحدة"، وخمسة فصول عن اللغة الإنجليزية في الهند، وفصل واحد حول اللغة الإنجليزية في مستعمرة كيب Cape في جنوب أفريقيا، وفصل واحد لكلٍّ من الهولنديين في الهند وإندونيسيا (جاوة) والهولنديين في أستراليا وجُزُر المحيط الباسفيكي، وفصل واحد عن الفرنسيين في مستعمراتهم. وأخيراً، كان الاستعمار والمسيحية أكبر خُلاصة للفظائع العالمية للإستعمار الإستيطاني كُتِبَت في زمنها، والتي تحتوي على تفاصيل وفيرة، غالباً ما كانت تعتمد على التقارير التجارية والحكومية.

ترجمة:
غريب عوض

وكما كتب ماركس: "إن William Howitt هو رجلٌ مُتخصص في كونهِ مسيحياً، عن النظام الاستعماري المسيحي، "إن وحشية ويأس ما يُسمى الجنس المسيحي، في جميع أنحاء العالَم، وعلى كل الشعوب التي تمكنوا من إخضاعها، لا يمكن موازاتهِ بذلك الموجود في أي جنس آخر، مهما كانت شراستهُ، ومهما كان غير متعلم، ومهما كان لا مبالي وعديم الرحمة والضمير، في أي عصر من عصور كوكب الأرض."

ونظراً لأن ماركس كان مُهتماً بالدور الذي لعبهُ الإستيلاء الاستعماري على أراضي الشعوب الأصلية، والشعوب التي لعبت دوراً في نشأة الرأسمال الصناعي، فقد ركّزَ على معاملة رأس المال الصناعي لهذهِ الشعوب خاصةً على يد الهولنديين والإنجليز، باعتبارهما الدولتان اللتان قادتا الطريق في عملية التنمية الرأسمالية الصناعية. وفيما يتعلق بالهولنديين، أشار ماركس إلى أنهُ في عام 1648، في ذروة قوتها، كانت هولندا تُسيطر بشكل كامل تقريباً على تجارة الهند الشرقية. وفي كتاب رأس المال، ركّز ماركس، بشكل خاص، على دور الهولنديين في جاوة كما هو مُفصّل في كتاب Sir، Thomas Stamford Raffles "تاريخ جاوة»، (حيثُ ركز بشكل أساسي على الفقرات التي تم ملاحظتها في كتاب Howitt "الاستعمار والمسيحية). هُنا دور تنظيم «الرجال اللصوص»، يتكون من «السارق، والمُترجم، والبائع»، جميع هؤلاء اشتركوا بشكل مُمنهج في «سرِقة الرجال" الذي غالباً ما يُقيّدون بالسلاسل، ويتم إخفاؤهم في سجون سِرية، ويُسحبون إلى سُفن الرقيق التي تنتظر، تم تصوير هذا الدور بعناية. وكما ذكر ماركس، «كان عدد سكان مقاطعة بانجوانغي Banjuwangi التابعة لجاوة Java يبلغ أكثر من 80،000 نسمة في عام 1750 وانخفظ إلى 18،000 نسمة فقط في عام 1811». وصرخ ماركس بسخرية مريرة، «هذهِ هي التجارة السلمية!» على أساس المُصادَرة الاستعمارية، وجادل ماركس، إن «رأس المال» الكُلي للجمهورية الهولندية أرتفع إلى نقطة في منتصف القرن السابع عشر والتي ربما تجاوزت رأس مال دول أوروبا مُجتَمِعة.

ولكن الهمجية الاستعمارية للرأسمالية الهولندية يتم تجاوزها فيما بعد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من قِبَل الإنجليز. ووضح ماركس على إثرَ كتاب Howitt، أن الحاكم البريطاني لشركة الهند الشرقية أَصَرَ على "احتكارها الحصري" في تجارة الشاي، وكذلك التجارة مع الصين وأوروبا.لكن مسؤولي الشركة المُفضلين تمكنوا من السيطرة على احتكارات الملح والأفيون و التنبول (البيتيل)، والسلع الأخرى التي تُهيّمن على التجارة الساحلية. "وظهرت الثروات الهائلة مثل فطر الأرض بين عشية وضُحاها»، على أساس واحدة من أكثر أشكال المُصادرة شراسة في تلك الفترة». وبإعتمادهِ على كتاب Howitt كمصدراً لهُ، كتب ماركس: "بين عامي 1769 و 1770 أوجدَ الإنجليز مجاعة حينما اشتروا كُل الرُز ورفضوا بيعهِ مرة ثانية، إلا بأسعار عالية." وفي هامش سُفلي، أضاف قائلاً: "في العام 1866 مات أكثر من مليون هندوسي من الجوع في إقليم أوريسا Orissa وحدهُ. ومع ذلك، جَرت مُحاولة لتمويل الخِزانة الهندية (الاستعمارية) بالسعر الذي بيعت بهِ وسائل المعيشة للناس الذين يتضوّرون جوعاً."

كان النهبُ هائلاً. كتب ماركس: "إن الكنوز التي تم الاستيلاء عليها خارج أوروبا من خلال النهب السافر والاستعباد والقتل"، عاد إلى البلد الأم. أعلن النظام الاستعماري بأن جني الأرباح هو الهدف الوحيد والنهائي للبشرية." وكانت تجارة الرقيق، بشكل خاص، تلعبُ دوراً مركزياً في تصنيع انجترا وفي نمو وتطور صناعة القُطن. عد ماركس سُفُن الرقيق التي كانت تُتاجر في ميناء ليفربول في السنوات التي سبقت الثورة الصناعية، لاحظ ماركس: "في عام 1730، استخدم ميناء ليفربول 15 سفينة في تجارة الرقيق؛ وفي عام 1751، استخدم الميناء 53 سفينة؛ وفي عام 1760، استخدم الميناء 74 سفينة؛ وفي عام 1770، استخدم الميناء 96 سفينة؛ وفي عام 1792، استخدم الميناء 132 سفينة".

ويُنهي ماركس هذا الفصل بالتحدث عن "أن الرأسمال الصناعي نشأ مع العبارة التي تقول، 'إذا أتي المال، وفقاً لقول Augier، إلى العالم مصبوغاً ببُقع دم الخلق على خدٍ واحد، فإن رأس المال يأتي يقطر من الرأس إلى أخمص القدم، ومن كل مسام، بالدم والأوساخ". عندما تقرأ الفقرة التالية، يكون من المستحيل أن لا يُفكر المرء أيضاً في نتائج كتاب Howitt الاستعمار والمسيحية، الذي تأثرَ بهِ ماركس إلى درجة ملحوظة:

لم يكن كافياً أن جميع الأراضي في المناطق المكتشفه حديثاً تم الاستيلاء عليها بالخداع والعُنف؛ ولم يكُن كافياً أن يُقتل أو يُستعبد سُكانها الأصليين؛ وأن يجب سكب الرذائل البغيضة من الناس الذين يصممون على إتباع أنقى الكائنات مثل الأفة في هذهِ البلدان الجديدة. لم يكُن كافياً إبادة ملايين الناس المُسالمين بالنار والسيوف وبالأعباء الثقيلة وبالعُنف، وبالألغام الضارة والشِددة غير المعتادة باستخدام الكلاب، وبصائدي البشر، وبالحزن واليأس، ومع ذلك هناك جريمة كبرى واحدة مطلوبة لوضع أفعال الأوروبيين وراء كل التنافُس في وجود الشر، وقد وُجِدَ هذا المَقت الشديد في تجارة الرقيق. لقد أستولوا على جميع البلدان الأُخرى تقريباً، ولكنهم لم يستطيعوا الإستيلاء على المناطق الحارة في أفريقيا. لم يستطيعوا الإستيلاء على الأرض ولكنهم استولوا على

بقلم:
John Bellamy Foster

الشعوب.... ولهذا فقد عقدوا العزم على التضحية بهم فوق قبور الأمريكيين الذين لقوا حتفهم بالفعل. أن تسفك الدم على الدم، وتكدس العظام على بعضها، واللعنة على اللعنة. يا لها من فكرة تلك! يقف الأوروبيون بسوط العبودية في أيديهم فوق عِظام الملايين المُبادين في نصف الكرة الجنوبي، وهم يُراقبون بعيون لا رحمة فيها ضحاياهم وهم يُجرون من النصف الجنوبي للكرة الأرضية إلى النصف الآخر ليس بعرقهم، بل بدماء قلوبهم، والتُربة التي هي في الحقيقة غُبار الأجيال التي قُتلت من الضحايا .... إن تاريخ أوروبا الإستعماري بأكملة قطعة واحدة.

وما وراء الإبادة والإستعباد، تركّز نقد ماركس على النهب الواسع الذي ميّز المُصادرة الأساسية الكامنة وراء تراكم رأس المال في العصر التجاري وما بعده، والذي كان أمراً أساسياً لتطوّر الرأسمالية. تم تنفيذ المُصادرة في مستعمرات المُستوطنين البيض من خلال إبادة السكان الأصليين واستراد العبيد. وهكذا، نشأت هُناك ما أسماه Coulthard "نزع المُلكية المُنظَم." حيثُ تم إبعاد السُكان الأصليين، وحيثُ أن هذه الأراضي تم ملؤها بالمهاجرين والمستوطنين البيض، حتى أصبحت المشكلة لرأس المال واحدة من مشاكل تجريد المستوطنين أيضاً.

إذن، فيما يتعلق بمستعمرات المستوطنين البيض – حالما تتم إبادة أو إبعاد السكان الأصليين عن أراضيهم – تُثار مُناقشة يُشارك فيها جميع الاقتصاديين والسياسيين الكلاسيكيين الإنجليز حول تأثيرات رأس المال الضارة على نسبة السُكان في تلك الأراضي. وهذه الحالة من التخلخل السكاني فيما يتعلق بالأرض، وبالتالي الوفرة النسبية للأرض، شجعت على العمل المُباشر للأرض من قِبل فئة من صغار المُزارعين التي يسكنها المُهاجرون الجُدُد، وبالتالي عرقلة تطوير البروليتاريا التي تنقصها المُمتلكات اللازمة للتصنيع الرأسمالي.

هُنا ركّز ماركس على عمل مؤسس المستعمرات الإنجليزي Edward Gibbon Wakefield وآخرين من مناصري "الاستعمار المُمنهج" في مستعمرات المُستوطنين البيض الإنجليز في القرن التاسع عشر (تحديداً هم، الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا). وأكد Wakefield على حاجة الدولة إلى إيجاد أسعار للأراضي الجبلية من خلال بيع أراضي الدولة والمُضاربة في الأراضي لكي يتم استثناء الموجات الجديدة من المُستوطنين المهاجرين من الانتقال الفوري إلى الحدود والإقامة هناك كمُزارعي الكفاف أو كمُلاك صِغار، مما يجبرهم بدلاً من ذلك إلى موقع البروليتاريين. وحقيقة أن السكان الأصليين بالكاد كان لهم ذكر في مثل هذه المُناقشات بين الإقتصاديين السياسيين الكلاسيكيين حول مستعمرات المستوطنين الإنجليز، كانت إنعكاساً للظروف التي كانت بحلول الثلاثينيات من القرن التاسع عشر أُعتُبِرَ طرد الأمريكيين الأصليين من الأرض قد تحقق إلى حد كبير في أمريكا الشمالية، على الرغم من استمرار ذلك الطرد في التقدم مع كل حركة غربية؛ في حين أن نفس عملية طرد السكان الأصليين أيضاً الأبرحنيز في استراليا ونيوزيلندا كانت قد قطعت شوطاً.

في هذا السياق من "النظرية الحديثة للإستعمار" التي دعا إليها Wakefield ومن الإقتصاد السياسي للإستعمار الإستيطاني، الذي كان سيعَلنُ عنهُ ماركس في الصفحة الختامية للمُجلد الأول من كتاب رأس المال:

لسنا مُهتمين هُنا [في هذه النقطة المنطقية في المُحاجة بحالة المستعمرات. الشيء الوحيد الذي يهُمنا هو السر الذي اكتشفه الاقتصاد السياسي للعالم القديم في العالم الجديد، وأعلنهُ بصوت عال: إن الأسلوب الرأسمالي للإنتاج والتراكم، وبالتالي المُلكية الرأسمالية الخاصة أيضاً، لهما أمر أساسي بالنسبة لهم. يشترط القضاء على تلك المُمتلكات الخاصة التي تقوم على عمل الفرد نفسه؛ بتعبير آخر، مُصادرة العامل.

لا ينبغي قراءة هذا كما يفعل Coulthard وهو أمر مفهوم، بمعنى أن ماركس كان في الواقع غير مُهتم بحقائق المؤسسات الاستعمارية ومعاملة السكان الأصليين، لأن كتاباته الأُخرى، بما في ذلك كتابه رأس المال نفسه يدحض مثل هذا التفسير. بل بالأحرى، اقترح نقد ماركس، القائم على ما كتبهُ Wakefield، أن طرد السكان الأصليين عن الأرض، ليحل محلهم صِغار المُزارعين، سيؤدي في النهاية في مستعمرات المُستوطنين البيض إلى المُصادرة التدريجية لصغار المُزارعين أيضاً كشرط لإنشاء الرأسمالية الصناعية.

مدخل إلى كتاب «نقد الحركة النسوانية» لتوني كليف

مؤلف الكتاب توني كليف مفكر اشتراكي بريطاني كان قائدًا لحزب العمال الاشتراكي، ولد في فلسطين عام ١٩١٧ وعرف بمواقفه المعادية للصهيونية، وله العديد من المؤلفات في الفكر الاشتركي، والعنوان الأصلي للكتاب الذي نتناوله هو: «النضال الطبقي لتحرر المرأة»، ونستعرض هنا المقدمة التي كتبتها للترجمة العربية للكتاب الكاتبة والمناضلة التقدمية المصرية فريدة النقاش، بعنوان: «دروس وخبرات لنا"، حيث تعرض المنطلقات الأساسية للقضايا المطروحة في الكتاب.

فريدة النقّاش

غلاف الكتاب

عرض: حياة الموسوي

هذا كتاب في تاريخ النضال النسائي الأوربي والأمريكي على امتداد قرن أو يزيد. هو كتاب لكل الإشتراكيين رجالًا ونساء، حزبيين ونقابيين مثقفين وعمال، بل لكل المهتمين بقضية المرأة. وتزداد أهمية الكتاب لإن جذورالحركات التي يضيء عمليات تأسيسها ثم صعودها وانهيارها خاصة في بداية القرن الماضي كانت قد نشأت في ظروف تحمل بعض خصائصها سمات مشابهة للمرحلة التي نعيشها نحن الآن، فإن الخبرة المتراكمة في هذه البلدان تصبح ذا فائدة عظيمة لنا.

يرى المؤلف في بداية كتابه أن نقطة إنطلاقه في تحليل مكانة المرأة في المجتمع هي علاقات الإستغلال الطبقي، ولذا ترتبط الحركة النسائية ارتباطا وثيقا بالمد والجزر في الحركة العمالية سواء في النقابات أو الأحزاب السياسية وبالأوضاع الإجتماعية الأقتصادية التي كان تدهورها يؤدي بشكل مباشر الى تراجع حركة النساء وانهيار أوضاعهن.

وتبرز النساء العاملات في هذا الكتاب، شأنهن شأن أي من الجماعات البشرية المضطهدة، مع فارق واحد بينهما هو أن النساء أضعف بسبب الإرث التاريخي والتحيزات التي وضعتهن في خانة أدنى. ويبين الكاتب كيف أن هذه التحيزات قد إنحدرت بالمقلوب الى تيار رئيسي في الحركة النسوية، ويضرب مثلًا على ذلك كيف أن الإشتراكيين حين نجحوا في تنظيم النساء وإشراكهن في النضال الطبقي مع العمال كسبوا قوة إضافية هائلة، وكسبت النساء أنفسهن وعيًا وخبرة وحقوقًا. كما أن النساء في الثورة يصلن الى أرقى حالاتهن وتتفتح قدراتهن بلا حدود ويدفعها إلى الأمام، كما تقول الكسندرا كولونتاي المناضلة والمفكرة السوفيتية التي شاركت هي نفسها في ثورتي 1905 – 1917. ففي 1905 لم يكن هناك ركن في البلاد إلا ويسمع صوت إمرأة تتحدث فيه عن نفسها وتطالب بحقوق جديدة .

وفتحت أبواب النقابات على إتساعها للنساء منذ البداية في روسيا، وعندما اندلعت الثورة البلشفية كانت النساء يشكلن نصف قوة العمل تقريبًا، والثورات كما يقول لينين هي "أعياد المقهورين والمستغلين، ففي زمنها وحده يتاح لجماهير الشعب أن تطرح نفسها بفاعلية كخالقة لنظام جديد". وبطبيعة الحال فحين تصبح النساء قوة فاعلة في مثل هذه الأعياد فإن ثقل الماضي الذي يجثم على كاهلهن سرعان مايسقط شرط أن يكون الطابع الشعبي هو الغالب في الثورة، كما هو الحال في الثورة الفرنسية حيث كانت نموذجا لحركة شعبية عارمة قادتها النساء جماعة. ويطبعن المطالب الثورية بطابع حاجاتهن كجزء لايتجزأ من الجماهير العاملة المسحوقة. "عند نساء الطبقة العاملة حيث كانت مشكلات التضخم والبطالة والجوع أكثر إلحاحا بكثير من مسائل الطلاق والتعليم والوضع القانوني. يقول أحد الكتاب الفرنسيين: "إن مظاهرة خبز بدون نساء هي تناقض بحد ذاته.. كذلك كانت قاعدة نفوذ الأذرع العارية تكمن في الجمعيات الشعبية التي تضم عددًا كبيرًا من الجمعيات النسائية.

ولعلنا نجد خبرة مشابهة لإنخراط النساء في ثورات القرن الماضي فيما حدث في الجزائر أثناء حرب التحرير حيث نظمت الثورة النساء المعدمات، وفي الإنتفاضة الفلسطينية حيث تلعب المرأة دورًا بارزًا يحتاج إلى دراسة. وفي حال تراجع الثورة أو عدم نضجها السياسي تدفع المرأة الثمن مضاعفًا، ومع تراجع المد الثوري تتراجع الحركة النسائية، كما حدث في روسيا كان تراجع العاملات أشدّ من الجميع حين منيت الطبقة العاملة بسلسلة من الهزائم الفظيعة. وفي باريس في مايو 1795 اقترع المؤتمر الوطني على منع النساء من حضور اجتماعاته، على أن يسمح لهن في المستقبل بالفرجة فقط إذا كن بصحبة رجل يحمل بطاقة مواطن.

أما كومونة باريس فقد سقطت في واحدة من أغرب مفارقاتها ألا وهي "أن نساء الطبقة العاملة وقد لعبن دورا ضخمًا في الثورة لم يحصلن على مجرد حق الإقتراع". كانت هزيمة الثورة تعني هزيمة النساء .

ورغم أن تزايد تشغيل النساء واندماجهن في العملية الإنتاجية هو بكل المقاييس عملية تقدمية لصالح تحرير المرأة، إلا أن هناك حقائق تنفي هذه العملية في بعض الأحيان، فقد رصد الاقتصاديون المصريون ظاهرة خاصة بعمل المرأة التي زادت نسبتها من 5٪ الى 11٪في زمن الإنفتاح الاقتصادي رغم أن البطالة تزايدت في نفس الفترة تزايدًا هائلًا. وتبيّن أن أجور النساء في القطاع الخاص أقلّ بكثير من أجور الرجال، بالإضافة إلى عدم انخراطهن في النقابات، وهو مايجعلهن فئة ضعيفة عاجزة عن الدفاع عن نفسها وتصبح بذلك مطلوبة لضرب الحركة العمالية.

وتبقى الحقيقة الأساسية في تشغيل المرأة أيًا كانت الظروف وألاعيب أصحاب العمل والمعارك التي تخوضها النساء العاملات من اجل تحسين ظروفهن هي مفتاح لتغيير أفكارهن ورفع الوعي لديهن، لأن العمل الجماعي يزيد ثقة المرأة بنفسها وفي زملائها وفي طبقتها. إنه في الواقع السبيل الوحيد لتحطيم إيديولوجية الإضطهاد التي هي نتاج للتربية تاريخيًا والعزلة وانخفاض الأجر، حيث "تؤدي العزلة إلى إعادة إنتاج مثل هذه الأفكار الطبقية السائدة في الإعلام والتعليم والثقافة بشكل منظم، فبالرغم من إنخراط النساء في العمل بدرجة وصلت في بعض البلدان الى نصف قوة العمل، فإن نظام التعليم يربط الفتيات برؤية وظيفتهن مستقبلا كربات بيوت وزوجات وأمهات لا كعاملات.

وبالرغم من أن خروج المرأة للعمل ارتبط بظهور الرأسمالية ونموها فإن الكاتب يكشف كيف أن اول من ثبت فكرة الأسرة التي لاتعمل المرأة فيها خارج البيت هي الطبقة الرأسمالية ذاتها، إذ كان هذا الحل الذي يوفر ثلاث مزايا، فهو يتيح إحلال كمية إضافية من العمل غير المدفوع الأجر محل إنفاق إجتماعي، ويتيح قدرًا من الصحة العامة في حياة الطبقة العاملة حيث تربي المرأة الأطفال وتنهض بعملية التغذية. وأخيرا فإن هذا سيمكن الرجل من ضبط المرأة، وهذا ماتفعله الجماعات الدينية في

العالم العربي. وأكثر ماتخشاه الرأسمالية التي تخطط حتى في أكثر حالاتها تقدمًا لإبقاء قدر من البطالة في المجتمع تستخدمه ضد العمال هو أن تواجه في حالة انخراط النساء على نطاق واسع في الإنتاج وتنظيم الخدمات المنزلية والأسرية اجتماعيا هو طبقة عاملة قوية موحده برجالها ونسائها قادرة على الدفاع عن حقوقها وتوسيعها والنضال بهمة أكبر من أجل تحويل المجتمع وبناء الإشتراكية .

الدروس والخبرات المستفادة من هذه التجارب لحالتنا العربية:

* لا يمكن فصل نشاط نساء الطبقة العاملة والكادحات عموما عن نشاط ومصير الطبقات التي ينتمين اليها، فقد نهضت العاملات حين ثارت طبقتهن، وسقطن حين هزمت الطبقة هزيمة كاسحة، وبسبب العجز عن صياغة الوحدة الطبقية في أمريكا بين جميع العمال رجالًا ونساءً انجذبت الحركة النسائية الى لون من وحدة الجنس، وحدة السيدات وخادماتهن.

* لقد بذلت فرسان العمل الأمريكية جهودًا جبارة لإقامة وحدة عمالية تتجاوز بقوتها فوارق المهارة والعرق والعقيدة والجنس والأصول القومية.

* ضرورة إرتباط القدرات التنظيمية إرتباطا وثيقا بعملية التحريض، إذ أن هذه العملية ذاتها كانت تؤدي الى إكتساب النساء قدرات جديدة لأنفسهن. وكما قالت جيرلي فلين: "معظمنا محرضون رائعون ولكننا ضعفاء كمنظمين نقابيين».

* وعن تجربة إنشاء منظمة نسائية تضم الجميع مالكات وكادحات في روسيا، كالجماعات التي نظمتها النسويات البرجوازيات، فإن تكن قد صعدت سريعًا فقد تحللت سريعًا، أحد الأسباب هو عمق الهوة مابين السيدات البرجوازيات والبرجوازيات الصغيرة من جهة، ونساء الطبقة العاملة من جهة أخرى

* في ألمانيا تمثل فشل روزا لوكسمبورج وكلارازيتكين وأنصارهما في إنشاء منظمة يعتد بها في صفوف النساء كما في صفوف الرجال، في ظروف موضوعية، وهي توسّع الرأسمالية الذي أدى إلى تحولات بيروقراطية في الحركة العمالية وتحولها العميق إلى حركة إصلاحية، أما الفشل الذاتي لليسار فتمثل في عدم تدخله في النضالات اليومية، أي أنه لم يطور من ممارساته الثوريه (الدعاية الثورية).

* لم تكن مواقع العمل هي مكان نشاط المنظمة الرئيسي، بل الشوارع والإجتماعات العامة. وفي مثل حالاتنا حيث "تمنع القوانين المعادية للحريات النشاط السياسي في أماكن العمل كما تمنعه في الشوارع والاجتماعات العامة".

* ولعل الخبرة الفرنسية في إنشاء منظمات نسائية – إشتراكية أقرب إلى واقعنا العربي من كل الخبرات إذ "وحدت أولى الإشتراكيات أنفسهن معزولات عن بعضهن بانتسابهن لكثرة من الجماعات الحلقية التي ميزت الإشتراكية الفرنسية في طور تكوينها.

* غالبا مايؤدي التعاون الطبقي لطمس الصراع الطبقي للإضرار بقضية تحرر النساء إضرارًا بالغًا. ففي بريطانيا "أضرت سياسات التحالف مع الليبراليين بمصالح العاملات، فقد أعيقت قدراتهن الكامنة وشوهت ولم يتح لها النمو أبدًا ،بينما يجري دفعهن الى التحالفات الطبقية". وفي إبقاء االنساء غير منظمات وضعيفات، وعلى طرفي نقيض كما في أمريكا .

* وبقيت حركة النساء في بريطانيا متخلفة كثيرا عن حركة العمال والسبب هو الطبيعة المحافظة للأخيرة، حيث نجد بعض قادة حزب العمال البريطاني يقولون مثلا "إن النساء مثلهن في ذلك مثل الأجناس السوداء من عينة أدنى".

* وفي الإتحاد السوفيتي لدى قيام الثورة البلشفية كان الفلاحون يمثلون أربعة أخماس السكان، ووجهت البطالة ضربة عنيفة لمحاولات تحرير النساء، ودعمت اعتماد النساء على الرجال اقتصاديًا، واكتسبت الإتجاهات الرجعية القهرية قوة، راحت تتوقف المؤسسات الجماعية الكثيرة، المطابخ الجماعية، وقاعات الطعام الجماعية، وبيوت الأطفال ودور الحضانة مع سعي الحكومة لخفض الإنفاق».

ليست الأشياء كما تبدو دائماً..

بتول حميد

كل القلوب العامرة بالفرح صارت
مسكناً للندوب
كل الجهات المرصوفة للمجيء
باتت منفذاً للهروب..
ليست الأشياء كما تبدو دائماً..
هكذا يقول فمي المبلل
خامداً بركان الدمع الصاعد للحنجرة
الصدفة المتأخرة..
عن ميعاد لهفة الحلم
لوْن القبلة الحائرة
على شفتيْ أنثى كئيبة..
الصمت المغلف بالحزن..
المُتهم بالرضا
هكذا تقول الأبواب المرسومة بالرصاص
في زنازين المحكومين بالإعدام..
الابتسامة الضحلة على بئر الأسى
كذبة الاكتفاء بلسان الكرامة
الأعذار المركونة على رف التخاذل
دمعة العاقر في مهد الوليد
النبرة المكسورة على خصر الناي
بين الكلام الواقف على أصابع التردد
واليأس المتغضن على جبينٍ فتيْ..
ليست الأشياء كما تبدو وما زلتُ..
محمومةً بالبحث عن.. لقطةٍ فارقة
ترمم ما تبقى في عيني
عن كفِ أغنيةٍ
تنزع الشوك من فراش القلق
عن أملٍ لا يلقي تحيته الصباحية ويأفل كالغروب..

في أجواء «أن تقرأ لوليتا في طهران»

حميد الملا

«هل سبق وأن قرأت رواية عشت وقائعها بالتمام والكمال؟» – سألني أحد الأصدقاء، مضيفًا: هل لك أن تتصور حالك وأنت تقرأ روايتك طولًا وعرضًا أحداثًا مرّت بك كالطيف الهارب منك تلك السنيين وأنت ترى هشاشتك النفسية في عدم مقدرتك على أن تواجه تلك الحالة المستعصية وكأنك رجل من ورق؟

والرواية هي عبارة عن سيرة ذاتية للراوية أبدعت في حبكها من خلال تدريسها للأدب الإنجليزي في الجامعة واختيارها لتدريس روايات لكتاب عظام واستنباط رواياتهم وعكسها على واقع الجمهورية الإسلامية الإيرانية فروايات فلادمير نابوكوف: «لوليتا»«دعوة لقطع العنق»، «تحدثي أيتها الذاكرة»، «المنعطف المشؤوم»،«الحياة الحقيقية لسيباستيان» وغيرها من الروايات، هذا الى جانب روايات فيتزجيرالد: «غاتسبي العظيم»، «الغفران»، «الحانة الغربية» إضافة إلى روايات أوستن: «الكبرياء» و«التحيز»، وغيرهم الكثير مثل موريل سبارك، مايك غولد، جيمس،هاوست.

الإبداع في هذه الرواية يكمن في أن الراوية استطاعت وبذكاء توظيف كل تلك الشخوص لمعالجة قضايا ما يحدث في الجمهورية الإسلامية الإيرانية من مختلف الانتهاكات وعكسها على واقع الحياة اليومية من خلال طالباتها وطلابها كعينات استخدمتهم بفطنة لطرح مختلف القضايا، فعن رواية (لوليتا) لنابوكوف تقول: «كنا مثل لوليتا نحاول أن ننأى بأنفسنا بحثًا عن جيوب صغيرة للحرية. ومثل لوليتا أيضاً، لم نكن ندّخر وسعا للتمايل طربا بتمردنا، كأن نظهر شيئاً من خصلات شعرنا من تحت الايشاربات، أو ندسّ قليلا من اللون في ذلك التشابه الممل القائم في مظهرنا، أو نطيل أظافرنا أو نستمع لموسيقى ممنوعة، أو نحب».

فكبت الحريات المفروض على الشعب الايراني من قبل نظام الملالي يتبدى واضحًا من خلال هذه المقارنة بين وضع لوليتا تلك الطفلة المحاصرة من قبل ذلك الوحش هومبرت زوج أمها بعد أن فقدت والديها وأصبحت رهينة له ليشكل حياتها ويلونها ويغتصبها في محاولة لجعلها عشيقة له ليدمرها ويجعل حياتها لاتطاق.

هذا التشبيه البليغ بين وضع لوليتا والشعب الإيراني نجد له صدى في مكان آخر في تلك الرواية من خلال مصادرة النظام حقوق الإيرانيين في الملبس والعيش بحرية دون قيود، فأسوأ شيء وأقساه أن يصادر شخص حياة شخص آخر كما تقول، فالنظام في إيران حاول تشكيل شعبه وفقًا لأحلام ورغبات النظام من خلال فرض وجوده وسلطته على حياة الناس بالحديد والنار، وصنع من شعبه كما صنع هومبرت من لوليتا فحوّلها من «إنسانة حية نابضة، إلى مخلوق ساكن مطيع».

كل تلك المحرمات انعكست على كل المجالات كالأدب والفن والموسيقى والباليه فقياديو الثورة من رجال الدين أرادوا كما تقول «أن يحولونا إلى نماذج من صنع خيالهم وهو ما حاولوا أن يفعلوه بآدابنا أيضًا. خذوا مثلا قضية سلمان رشدي».

فالمرأة في ظل النظام القائم صودرت حقوقها وأعيدت إلى قرون سابقة بإلغاء القوانين العصرية من تحديد سن الزواج وحماية الأسرة وتخفيض سن الزواج إلى تسع سنوات، والرجم للزانية حتى الموت وغيرها من القوانين المجحفة للمرأة وأصبحت حزمة الممنوعات شيئاً لا يطاق، فأجبرن على لبس الحجاب وشكلت ميليشيا حماية الأخلاق لمراقبة وإحصاء أنفاسهن، فخصلة شعر، أو ضحكة أو مشية لا تعجب تلك الميليشيات كافية للتوبيخ أو السجن.

في موضع آخر تقول: «كانت الموسيقى الإيرانية تعنى بالنسبة لهم الأناشيد الوطنية والمارشات العسكرية، أما المتعة فقد كانت في مكان آخر». ومن هنا كانت الأطباق اللاقطة أيضًا ممنوعة ويعاقب عليها. ومن خلال رواية أخرى لنابوكوف: «دعوة لقطع العنق» تقارن مع وضع الشعب الإيراني وتقول: «أولسنا جميعًا ضحايا الطبيعة العشوائية لأي نظام شمولي؟ نظام لا يكف عن التدخل في حياتنا واقتحام أكثر تفاصيلنا حميمية وخصوصية، ولا يكف عن فرض خيالاته المريضة القاسية على حياتنا...الخ» .

وتقارن هنا بين جيلين؛ جيل ما قبل الثورة والحريات الشخصية، وجيل النساء في ظل حكم الملالي وتقول: «جيلنا يشكو من الضياع، من الفراغ الذي ظهر في حياتنا حينما سرقوا ماضينا وجعلوا منا غرباء منفيين ونحن في وطننا. ومع هذا فنحن لنا ماض نقارنه بالحاضر ولنا ذكريات وصور لما قد سرق منا على أية حال. بينما تحدثني طالباتي دائما عن قبلات مسروقة وأفلام لم يشاهدنها أبدًا، ونسمات لم يشعرن بها يومًا وهي تداعب أديمهن.انهن جيل بلا ماض».

جعل نظام الجمهورية الإسلامية مواطنيه وهم ضحاياه شركاء في تلك الجرائم حيث كانت الحشود المنتشية بالنصر تشارك في تقبّل تلك الإعدامات لمن لا يشارك النظام ويعارضه، وبتلك الوحشية رغم وقوف تلك الجماهير وتلك الأحزاب بقيادة الانتفاضة ضد الشاه كحزب تودة وغيره من الأحزاب الوطنية، لتدور الدوائر على ما تبقى من مناصري الثورة ويتم إعدامهم والتنكيل بهم. وحتى الاماكن الجميلة بدت مظلمة وسادها القبح والفجاجة، فمطار طهران، كما تقول، كان مكانًا جميلًا سحريًا به مطعم رائع تقام به الحفلات في أماسي الجمع وغدا كئيبًا زالت الفرحة والمرح عن زائريه، وأصبح مكانًا للتفتيش عن المشروبات وأحمر الشفاه والكتب الممنوعة بحجة أنها تفسد الأخلاق، والقائمة تطول من الممنوعات والمحرمات .

في الأيام الأولى للثورة تمّ طرد العديد من أساتذة الجامعات، لا لشئ سوى الشكوك في ولائهم ولعدم انتمائهم للتيارات الجهادية الإسلامية، فكان مصيرهم الاعتقال والسجن أو الطرد وتمت التصفيات لخيرة الأكاديميين والعلماء، وتم اخراجهم من ملّة الإسلام وحقّ عليهم القصاص.

المكتبات أصبحت خاوية من الكتب التي لا تستهوي رجال الدين، وبات من النادر أن ترى كتابًا مخالفًا لتوجهاتهم المتشددة، وهنا تشير آذر نفيسي بمرارة: «في غضون بضعة أشهر فقط، أصبح من الصعب جدا العثور على فيتزجيرالد أو همينغواي في مكان، وإذ لم تستطع الحكومة سحب كل الكتب من السوق، فإنهم أخذوا بالتدريج يغلقون بعض أهم المكتبات التي تبيع الكتب الأجنبية، ثم أوقفوا توزيع تلك الكتب في إيران كلها.

لوثة حمى النظام لإزاحة معارضيه انتقلت لطلبة الجامعة وقاموا بطرد أساتذتهم لكونهم غير ثوريين، فالكل كان خائفًا من الكل وبدا المشهد سرياليًا إلى حد بعيد، فكانت الشعارات الثورية هي السائدة وحلّت محل التفكير الرصين، بعد أن سادت الغوغاء وضربت بأطنابها قطاعات المجتمع فأحرق الكثيرمن دورالنشر ومحال بيع الكتب، وهنا تقول آذر نفيسي:»بدأت الثورة تخلص إلى إيقاعها المنتظم: العنف، الإعدامات، الاعترافات العلنية بالجرائم التي لم ترتكب، الحكام الذين يتحدثون عن بترهم كفّ السارق أو رجليه، وقتلهم السجناء السياسيين لعدم وجود أماكن كافية لهم في السجون، ولم تسلم النسوة المعتقلات من الاغتصاب داخل السجون، وبتصاعد الأحداث تقول نفيسي أساءت الثورة الإسلامية للإسلام أكثر من أي غريب كان يمكن أن يسئ له.

فالثورة قد أفرغت رؤوس الفتية والفتيات من كل أشكال التفكير. ومع الأسف ليست نخبتنا الثقافية – زبدة المجتمع بأفضل حال منهم كما تقول نفيسي، وكما دمرهومبرت جسد الحلم وغاتسبي، وهو يدمرنفسه باستعادة حلمه بالماضي، فاكتشف بأن الماضي قد مات وبأن الحاضر زائف، ولم يعد له مستقبل، هو كما حال ثورتنا التي جاءت باسم الماضي الجمعي المتراكم ، وحطمت حياتنا باسم الحلم كما تقول آذر نفيسي. وصناع الأساطير العظام الذين أرادوا أن يفصلوا الواقع على ضوء معطيات حلمهم نجحوا مثل هومبرت في تدمير الواقع والحلم معا.

معجزة في الزنزانة رقم ٧

سوسن دهنيم

لا يمكن تجاهل مشاعر الحب الصادق الصادرة عن الآخرين تجاه بعضهم، تجعلنا نتعاطف معها مهما كان وقتها وبصرف النظر عمن كانوا أبطالها، فكيف إذا كانت تلك المشاعر بين طفلة ذات تسعة أعوام وأبيها؟ ولأقل: بين طفلة يتيمة الأم وأبيها المعاق ذهنيا.

هذا ما سيحدث بالطبع حين تشاهد الفيلم التركي "معجزة في الزنزانة رقم 7"، من بطولة أراس بولوت أنيملي الذي مثّل دور محمد أو ميمو، والطفلة نيسا صوفيا التي أدت دور ابنته أوفا، بالدرجة الأولى. الفيلم استطاع أسر جميع مشاهديه، وإرغامهم على التعاطف مع أبطاله "الأخيار" بكثير من الدموع. ميمو وأوفا والجدة والمعلمة وغيرهم.

تبدأ أحداث الفيلم في العام 2004 لحظة إعلان إلغاء حكم الإعدام في تركيا، حين كانت تستمع إليه شابة تعود بذاكرتها إلى أيام الثمانينيات حين اتهم والدها بجريمة قتل لم يرتكبها. أحداث الفيلم تمزق نياط قلب من يشاهدها، فكيف هو حال من يعيشها، خصوصا حين يكون أبا معاقا ذهنيا وطفلة لا تملك في الحياة غير والدها؟

منذ المشهد الأول يمكن للمشاهد أن يعرف مدى تعلق هذا الأب بابنته برغم اعاقته التي بدت وكأنها السبب في هذا الحب الجمّ وهذا التعلق الكبير بها. تتعاقب الأحداث سريعا في البداية إلى أن تصل إلى اتهام «ميمو» بقتل طفلة كانت ابنة ضابط عسكري له نفوذه، يعلم ببراءته وإعاقته، لكنه يصرّ على اتهامه ظلما؛ كي لا يفقد سطوته. يزج به في السجن مع مجموعة من كبار المجرمين، وبالرغم من ظهور دليل براءته بعد ذلك إلا أنه يواصل محاكمته ليصل إلى وقت تنفيذ حكم الإعدام، بعد أن يقتل الشاهد الوحيد على براءته. في إشارة لمدى طغيان بعض أصحاب السلطة وظلمهم.

الأحداث كثيرة منذ دخول البطل السجن في الزنزانة رقم 7 وحتى لحظة الإعدام وما تلاها، لكن أبرزها هو منعه من رؤيته والدته وابنته بكل الأشكال، وتعذيبه من قبل رفقائه في الزنزانة قبل نيله تعاطفهم معه ومحبتهم الكبيرة له،حتى أنهم يدخلون إليه طفلته تهريبا في مشاهد تدمي الفؤاد، فتموت والدته خوفا على طفلته حين خرجت للمرة الأولى خلسة لرؤية أبيها، ولا يبقى لها غير معلمة عاشت معها وكانت ترأف بها.

لحظة الإعدام كانت أكثر اللحظات التي تثبت أن العفوية في التعامل مع الآخرين ومحبتهم وبياض القلب والصدق يولّدون تعاطفا ومحبة لا حد لها تصل إلى حد التضحية بالروح. مشهد كان كفيلا بذرف دموع كثير من المشاهدين في أداء رائع وإخراج جميل وموسيقى استثنائية. ويؤكد أن الظلم مهما طغى يبقى الخير موجودا في أي مؤسسة عسكرية أو مدنية.

يبقى القول إن البطلان أديا دورهما بشكل جعلهما أكثر صدقا من أي حقيقة وجدت في الفيلم، وجعلت منهما ثنائيا رائعًا، وإن هذا الفيلم مأخوذ من فيلم كوري صدر عام 2013، وحمل الإسم نفسه، وإنه اعتُبر الأكثر مشاهدة في تركيا وحقق أرباحاً بقيمة 15 مليون دولار تقريبًا، ودخل ضمن المراكز العشرة الأولى في «نتفليكس» في دول كثيرة شرقية وغربية، عربية وأجنبية.

غير المغضوب عليهم!

تفتح الدراما باباً من أبواب المعرفة غير المحدودة. فعدا الكتب، والمطالعة، والتعلّم، ومصادر المعرفة الأخرى، تتيح المحاكاة التي تمنحها الأشكال الدرامية، عبر قنواتها، التأثير الكبير الذي تناوله المختصون، ولا يزالون، في دراسات وأبحاث مستمرة، تعطي الدراما مكانتها التي تستحق في تلقين الناس تفاصيل لا تلفت إليها تربية الأهل أو التعليم أياً كان مستواه. وكما الكتب التي تعبر بقارئها حيوات أخرى، تفعل الدراما أكثر من ذلك، إذا ما وضعت في الحسبان الصورة المرئية المغرية،سهلة التلقي، عبر الشاشات في البيوت، مع ترجيح الكفة لصالح الدراما التي يمكن تحميلها أي رسالة؛لسهولة وصولها وتوصيلها للعامة، على عكس القراءة التي تتطلب البحث، والسعي، والتفكر.

زهراء المنصور

هذا التأثير امتد إلى "البرومو" الترويجي، الذي تقدمه جهات إنتاج الدراماعادة، كان أكثرها إثارة للجدل مسلسل «أم هارون»، من بطولة الفنانة الكويتية حياة الفهد،والمستلهمة فكرته من شخصية «أم جان»؛ الممرضة، والقابلة التركية، يهودية الديانة، التي قدمت للعمل في القطاع الصحي بمستشفى النعيم آنذاك، ثم انتقلت إلى مستشفى الولادة بالمحرق، وعملت لاحقاً قابلة لحسابها الخاص، عبر التنقل في بيوت المحرق وضواحيها، وتعاملت بود وإخلاص جعلا لها شهرة ومكانة طيبة، جعلتا سيرتها موجودة على السطح، حتى بعد مغادرتها البحرين –طوعاً– في السبعينات، بوصفها شخصية مميزة في تاريخ البحرين، قدمت في أكثر من فعالية وطنية.(1)

كانت أم جان «وافدة» بالمصطلح الجديد نسبياً، رغم أنها عاشت أربعين سنة من عمرها في البحرين،ولم يُعرف في سيرة هذه الشخصية، التي مرّت على العراق وإيران، وتعلمت، وتزوجت فيهما، قبل أن تقرر وزوجها العمل هنا؛ أن مرّت بدولة الكويت الشقيقة، التي خرج منها اليهود في وقت مبكر من القرن الماضي، لتداعيات سياسية واجتماعية، مع ملاحظة أن الهيئة التي ظهرت بها بطلة العمل هي نفس الهيئة المعتادة لـ«أم جان»؛ بالوشاح الذي يغطي جزءاً من الشعر، والفستان القصير ماتحت الركبة.وظهور بوسترالعمل الجديد،الذي تناقلته وسائل التواصل، ينوِّه إلى عنوان فرعي معنيّ بالقصة الكاملة لليهود في الخليج 1920–1960.ومن المعروف أن وجود عائلات يهودية – محدودة نوعا ما– نزح أغلبها من العراق، موجود وثابت في سير المجتمعات المختلطة، وبالتأكيد نقصت هذه الأعداد ما بعد 1948. واليوم، باتت الإحصائيات تشير إلى أنهم «عشرات» بيننا في الخليج بالمجمل، لكن يكفي أن يمرّ عابر على أسماء لوحات بعض المحلات القديمة في سوق المنامة ليكتشف أن وجودهم كان واحداً من أسباب الانتعاش الاقتصادي، وأن لهم وجوداً لا يمكن إنكاره، برغم حساسية الموضوع، ورغم دعوات المقاطعة المبكرة التي واكبت الإعلان عن المسلسل لمجرد فكرته!

لاشك في غلبة العاطفة، المرتبطة تلقائياً بالقضية الفلسطينية، حين يأتي ذكر اليهود – أي يهود– وليس الصهاينة أعداء العرب الفعليين، والقلق من الحديث عن التطبيع الذي يشكل هاجساً»عاطفياً» وسياسيا أيضاً لدينا، بينما القراءات السياسية لا تكترث إلا بما يصبّ لصالحها. هل التوثيق أو التطرق لحياة يهودي هو خيانة لأوطاننا وانتماءاتنا؟ هل لو تمّ إفراد عمل درامي للطبيب الهندوسي بندركار، وهو أول طبيب يلتحق بالخدمات الصحية بالبحرين في عام 1925، سيعتبر تبشيراً بالهندوسية التي يمارس أفرادها حرية معتقدهم الديني في معبدهم بالبحرين حتى الآن؟ وهل الشخصيات الأخرى، من أقلية دينية،بالإضافة إلى اليهودية، والمسيحية، والهندوسية، والبهائية، وغيرها ممن يعيشون جنباً إلى جنب في دول أكثريتها مسلمة، سنة وشيعة، وخاصة الشخصيات المميزة منهم، والتي أدت دوراً مؤثراً في مجتمعاتها، سيعد ترسيخ فكرة وجودها في المنطقة، وبالتالي الاستحواذ الذي مال إليه بعض

من دعوا للمقاطعة؟

وللموضوعية، فإنه لا يمكن مقارنة أصحاب الديانات الأخرى باليهودية؛ لأن سيرة اليهودي جاءت بميراث تاريخي وديني مسبق، إذ سيدرك أي قارئ للقرآن الكريم أن شخصية اليهودي، وصفاته السلبية، حاضرة عبر آيات واضحة، أو عبر التفسيرات التي خصصت مساحات كبيرة معنية باليهود، مثل معرفة الحق وكتمانه/ البخل الشديد/ الإكثار من أكل أموال الناس من الربا والاحتيال والخداع/ الجبن الشديد/ تحريفهم للكلام/ خيانتهم للعهود/ قتلهم خيرة الناس من العلماء والافساد في الأرض، كما أظهرها الدكتور عبدالرحيم شريف الحاصل على درجته العلمية في التفسير وعلوم القرآن(2)، وغيرها من الدراسات العديدة، والتي لا زالت تصب في نفس الفكرة. فلم على قارئ القرآن العادي أن يفكر بغير هذا التفسير الذي تكاد تتفق عليه مناهج المفسرين؟

وليس هذا الإرث حكراً على المسلمين وحدهم؛ فلم يذهب الأدب بعيداً عن هذه الصفات لشخصية اليهودي،حيث تذهب المخيلة تلقائياًإلى «شايلوك» المرابي في مسرحية «تاجر البندقية» لوليام شكسبير،والذي ينتقم لنفسه في أول فرصة سانحة من «أنطونيو» الذي تأخر عن سداد دينه، عبر الرغبة في اقتصاص رطل من جسد أنطونيو، من أي مكان يختاره هو! لم ينجح شايلوك في مطلبه غير الإنساني، الذي حشد الآخرين ضده، رغم أنه صاحب حق، لكن هذا لا يمنع القارئ من التعاطف مع شايلوك الذي تحمّل من المهانة والتحقير أمام العامة الشيء الكثير، حتى واتته الفرصة للثأر في شكل سلبي قدّمه له القدر، ولم يدبره بنفسه، بل برر فعلته بمونولج طويل ومؤثر(3).

ولا يخفى على المطلع أن شكسبير قد عنى الحضور اليهودي الطاغي اقتصادياً في مدينة البندقية على عامة المسيحيين آنذاك. ثم قام بعدها الكاتب المسرحي البريطاني، والمولود في بيئة يهودية، "آرنولد ويسكر" باستخدام أبعاد مختلفة عن شايلوك شكسبير في نصه المعنون بـــ:The merchant (التاجر)، من حيث العمق الفكري، والثقة بالنفس، وجعل من موضوع الاقتصاص من "صديقه" أنطونيو مزحة بولغ في رواجها. ولا نحتاج للتفصيل في كيفية إدراج الكاتب علي أحمد باكثيرلشايلوك، في قالبه النموذجي الجاهز، الذي يستعان به في تقديم شخصية اليهودي الخبيث كل الوقت.

الفكرة أن اليهودية جرى تحويلها قسراً إلى قومية، فيما هي دين سماوي كالأديان الأخرى، وصارت مقرونة بأفعال مثل تلك التي جاءت على هيئة آيات قرآنية بشكل مضمر أو صريح، أو عرضتها الفنون والآداب عبر منافذها مراراً، في تجسيد شخصية اليهودي المكروه بسبب أفعاله، وليس لدينه، ولهذا أمثلة لا تحصى على امتداد الوقت، مثل الكاتب الروسي الكبير ديستوفسكي الذي أدان وجود اليهود في الثقافة الروسية ومحاولتهم التسلط على الشعب في الوثيقة المعنونة بـ"المسألة اليهودية" مع التأكيد أن لا كراهية مسبقة لهم، "لكن يوجد عدم ارتياح ولكنه لا يأتي بسبب أن اليهودي يهودي، ليس لسبب قبلي، ليس لسبب ديني، وأنما مبعث هذا أسباب مختلفة تماما، هذه الأسباب ليس الشعب الروسي مسؤولا عنها، ليس سكان البلاد الأصليون وإنما اليهود أنفسهم".

(4)، وقليل منها ما يمثل شخصية "يحيى"اليهودي/ البحريني (فهد مندي) في فيلم حكاية بحرينية(5)، والذي جاء كأحد مكونات المجتمع، إلى وقت ما قبل النكسة في 1967، مستنكراً ربط انتمائه لأي مكان عدا هذا الوطن الذي لم يعرف غيره، برغم هجرة آخرين راقت لهم فكرة المكان الجديد، وضاقت بهم الأحوال، بسبب الربط "العاطفي" مجدداً للناس هنا لما فعله الصهاينة هناك.أو شخصية "سارة" (ليز سركسيان) في فيلم ولاد العم(6)، الأم اليهودية التي نزحت من مصر إلى إسرائيل، وعانت هي وأهلها الأمرّين في مخيمات بائسة، كونهم يهوداً شرقيين (سفارديم)، غير البيوت "الآدمية" التي جهزت لـــ(الأشكناز)، وهم اليهود القادمون من أوروبا، والمحظوظون بمعاملة خاصة في الوطن الجديد، وهو غير ما رمى إليه المتحدث الرسمي باسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدرعي مؤخراً في منصته الإلكترونية الناطقة باللغة العربية، حول إعجابه بما صرحت به بطلة العمل أن "الكويت فيها ديانات كثيرة"، وانتقد"أصحاب نظرية المؤامرة، الذين ينظرون إلى كلمة التطبيع كشتيمة، ويفضلون المسلسلات العنصرية التي تروج الأكاذيب المعادية للسامية.."، لأن كل الدلائلتشير أن المجتمعات لا تزدري معتقداً مالم يتقاطع مع حياتها أو يفنّد ثوابتها.

شخصياً، لا أعرف لِمَ تمّ اختيار شخصية أم جان من قبل المؤلفيْن البحَرينييْن علي ومحمد شمس لكتابتها، حتى لو لم تشر لها الدراما بشكل صريح، بينما المجال يتسع لخلق شخصية جديدة لا تتقاطع مع الهيئة الشهيرة للشخصية الحقيقية، إذا كان الهدف هو التعريف بمكون اجتماعي تواجد – أو لازال– في فترة زمنية معينة.

لكن الدعوة لمقاطعة المسلسل لن تؤدي إلا إلى اجتذاب مزيد من المشاهدين، مع الانتباه إلى «افتعال» الجدل في بعض الأعمال من أجل كسب مشاهدة،غير أولئك الذين يدفعهم الفضول للتعرف على شخصيات غير مألوفة في التاريخ بشكل عام، خاصة إذا كان تكلف الإنتاج لإظهار الحقبة الزمنية بتفاصيلها؛ من ديكور وأزياء واكسسوار، ينقل المشاهد إلى زمن مضى، وحكايات لم يعش في زمنها، ربما تنعش حواسه، وتدفعه للبحث والتحليل وسيكتشف ببساطة إن كان المحتوى الدرامي يعج بأخطاء تاريخية يحفظها الناس، وسيدرك من المشاهدة المتمعنة المحايدة أصغر التفاصيل التي يراد، عبرها، الترويج لفكرة التطبيع من عدمها، دون اغفال أن المشاهد، وهو يشاهد المسلسل، لن ينسى من غدروا، لن ينسى القتلة، ولن يغيب عن باله أن فلسطين دائما عربية.

الهوامش

1ـ منها فعالية «ولهان يا محرق» في 2009، وجسدت الشخصية غادة الفيحاني، وفي أوبريت وردة للوطن..وطن للسلام في 2013 وقامت بالدور ريم ونوس، مع الإشارة إلى جهود الماكيير ياسر سيف في تقريب شكل الممثلتين إلى الشخصية الحقيقة.

2ـ (topic–https://benihadifa.forumactif.com/t554

3ـ تاجر البندقية، وليام شكسبير، ترجمة حسين أحمد أمين،دار الشروق،ص 26

4ـ المسألة الروسية، فيدور ديستوفسكي، ترجمة: حسن سامي اليوسف، https://www. pdf.01208/asharqalarabi.org.uk/markaz

5ـ فيلم حكاية بحرينية، منتج في 2006، للكاتب فريد رمضان، والمخرج بسام الذوادي، لمشاهدة الفيلم كاملاً: https://www.youtube.com/watch?v=WeA125P62fs

6ـ فيلم "ولاد العم"، منتج في 2009، تأليف عمرو سمير عاطف، والمخرج شريف عرفة، لمشاهدة برومو الفيلم: https://www.youtube.com/watch?v=NDBYsCsu6WM

يوميات في زمن الكرونا

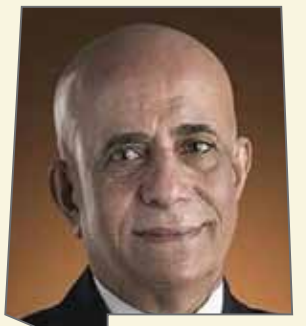

حميد القائد

(1)

هدوءٌ
صمتٌ تتبعثرُ فيه الأسرارْ
الليلُ توقّفَ عن الهمسِ الخفي
النهارُ ما عادَ يهتم بالزحامِ المُتلاشي

***

ترقبٌ
انتظاراتٌ
الحروفُ تخرجُ من بين أصابعٍ
لم تتعوّد على التوقّفِ
وعلى جلسةٍ مملةٍ في البيت
التلفاز يشكو من الأخبار السيئة
الكتب فرحةٌ بالأيدي وهي تتلقفها

***

شُموعٌ نصف منطفئة
شُموعٌ مضيئةٌ رغم ذوبانها
قناديلَ مُصرةٌ على تحدي الظلمة
يرفع القساوسةُ والملالي أكفهم بالدعاء
السماء تزخّ مطرًا محشوًا بالضفادع
الفقراءُ غادرتهم الإبتسامات
فالأفقُ يعدهم بالمزيدِ من الغَمِّ
تجّارُ الضميرِ يُغرقونَ في الضحكِ
تجارتهم ربحت دُموع الأطفال
ما عادت الطرقاتُ تنتج رغيفًا

***

الحصانُ في أسطبلِ الجيران
يصهلُ في منتصف الليل
كانهُ يزفُ رسالةً للهواء
لكن الهواء ما عادَ يستلم الرسائل
خشيةً من فيروسات الموت

***

طفلةُ في الحَجْر قريبةٌ من داري
تلوّح لي من فوق السطح بإبتسامةٍ
قذفتني بوردٍ حمراء
تفتّتت، تبعثرت فوقَ المنازلِ
احالت قلبي الى ضوءٍ سحري
وما زلتُ ابتسم حتى في النوم

***

من الشرفةِ القريبةِ
اسمعُ نايًا يعزفهُ جاري الضرير
كانت مُوسيقى "كاتيوشا" الروسية
ملأت الأرجاءَ بضوء الغد

(2)

هل من وحشةٍ أكثر تَوحشًا
من شوارعٍ تعرّت من أسمَالها
من مقاهٍ تستحمُ وحيدةً
بقهوتها البَاردة
العشاقُ سكتوا عن الكَلامْ
احرقوا رسائل الغرامْ
هل من وحشةٍ لا تصمتُ
في ليلٍ يبحثُ عن لياليهِ القديمةْ
لا نديمَ خلفَ النوافذِ
يَحكي عن أسفارِ جَسدهِ لنديمةْ
النوارسُ تغطّي سَماءَ الشَاطىء
همسَ لها البحرُ خفيةً
تحوّل نعيقها الى ما يُشبهُ النَواح
ما زالَ السرُّ صَامتًا يُحاورُ المِلحَ
لم يتبقَ الكثير من الوقت
على عينينِ اقتحمتا سِرّ المدى
على قدمينِ طافتا مساميرَ الأرض
لم يتبقَ على خفوتِ كوكبَ الشاعرِ
سوى شهادةٍ لم تُختم بعد

(3)

في هذا المَقهى المَهجورُ الآن

كتبتُ أكثرَ قصائدي جنونًا
المقاعدُ مكدَّسةً على بعضها
فَناجينُ القهوةِ في الركنِ
تئنُّ وحدةً واغترابًا
ما زلتُ اسمعُ صوتَ الموسيقى
وكأنها ما زالت تداعب الزوايا
المكانُ مقفل الشفتين
إلا من أطيافٍ قابعةٍ في البيت
رايتُ طاولتي تناديني من بعيدٍ
سمعتُ حشرجةَ همسها الحزين
اغرقتُ في ضحكٍ هستيري
ودمعةٌ غالية لثمت خدي

(4)
بماذا نكتبُ هذا الزمنَ
بالدم او بالإزميل
او نَرسمهُ لوحةً سرياليةً
او تكعيبيةً او مجنونة
ام أن كل الأحداثِ
مجرّدُ عبثٍ مضحكٍ
ونحن مجرد قطعٍ
في لوحة شطرنجٍ مكسورة

(5)
اللحظاتُ تَتحوّلُ رعشات
في زمنٍ ينقشهُ فنانٌ سريالي
موتٌ لا يُشبه الموتَ
ولا يُشبه الحياة
من ينقذُ الخلقَ من براثنِ فيروس
ابتكرهُ أوغادٌ يَسكنونَ الأعالي
من يهزُّ الشجرةَ
كي تساقطُ نَارجيلا
وتعاويذ أمل
من يعزفُ قيثارةً
فربما تبتسمُ السماءُ معجزات
تنتهي الأيامُ المُلتحفةِ بالحَتف
هل هو زمنُ السُخريةِ المُرّة
يمتطي عربةَ قدرٍ بلا وجه
انه وحشٌ بالعرضِ وبالطُول
والبشرُ ايقونات تنتظرُ المجهولْ

(6)
في الإعتكاف الجبري
نثرتُ الكتب على طاولتي
كل كتابٍ يمد يدهُ كي يَحضنني
الشوارعُ نائمةٌ في ريبةِ الصمتِ
الأجسادُ مختبئةٌ في القلوب
لا مكانَ للقاءاتِ السرية ليلا
العشاقُ يكاتبونَ غيرَ المنظور
وتمضي الفراشاتُ
ونمضي حروفًا خالدةً في الريح
فمن يحفظ توازنُ الكونِ بعدنا

(7)
مسٌّ من الشيطانِ
أم لعنةُ المظلومين
ام نهاية عصرٍ مشروخ

(8)
يَجيءُ ليلٌ، يَمرُّ ليلْ
خببُ خَيلْ
الإنتظارُ دَبابيسٌ
مبهمٌ الطريقُ وغامض
غيومُ السماءِ علاماتُ إستفهامٍ
النيرانُ مختبئةٌ في الجيوبِ
أي فرحٍ سينجو
العالمُ قلبٌ واحدٌ كالسكِّين
هربُ الحنينُ الى الشوارع الملتويةِ
الليلُ ينتظرُ شمسًا تغني
أشعلوا الشموعَ ليعانقنا الأمل

(9)
غولٌ يحتلُّ السَماء
المطرُ انحبسَ في المَزاريب
البحرُ تحوّلَ رماديًا
بسماتُ المارةُ القليلون
في اقفاصٍ حديدية
كأن لا أحدَ يستلقي على خيوط النور
لأ أحدَ ينتظرُ الغدَ مثل الأمس
خفتت ومضات المتفائلين
لا احدَ في نشيدِ العصافير
لا احدَ في أحدْ

ولا أحدٌ أحدْ
المَدى كهدوءِ الموتى
النوارسُ تحلّقُ بحركاتٍ غريبة
وكأنّها تبحثُ عن لآلىءٍ
مخبّئةٍ في الأخاديدِ المهجورة
قارئةٌ الفنجانِ الماهرة
اخفت وجهها في رمالِ الصحراء
ماذا قال العرّاف حين سأله الأصحاب
عن ورودٍ تحترقُ في الماء
أوغلَ في صمتٍ مريبٍ
يمَّم وجههُ صوبَ اليمِ
وما زالَ يتلو دعاءَ الغُرباء

(10)
ثعلبٌ
ام وحشٌ
ام لعنةٌ أبديّة
او رحلةً الى الموتِ
لها عودةٌ وإيابْ
هل في نهايةِ الضوء نفقٌ بلا منفذٍ
وفي آخر الطريق عتماتْ
احجيةٌ ام لَعناتْ
ربما سفرٌ طويلٌ الى التَوتر
او ربما غَضبة الآلهةِ
على عروشٍ
يَرفعُها الطُغاة على رؤوسهم
يعزفون أغاني الدم
الطريقُ الى هناك علامات استفهامٍ
الغدُ قادمٌ مسرعًا
ليس نهايةَ العالم حتمًا
لكن الضحكَ على الخَفايا
يزيلُ الهَم

(11)
في الغرفةِ يتجوّلُ طيفُ أمي
جاءت من فراديسٍ صامتة
كي تحميني من عيونِ الفيروس
تخرجني من هذي الحرب الضروس
هل للموتى كراماتٌ
ام إننا نبحثُ عن أي ظلٍ
تحت سقوفٍ سرّية
تُبعد عنا ويلاتَ شَجرةِ الزقوم
ما زالت أمي تتجولُ في أرجاء مكاني
ربما تحمل لنا البشرى
وما زالت الموسيقى
تنبعث من الشرفات

فرصة الحياة

سوسن حسن

الكرة الأرضية تغصّ بالحركة. وسيمون لم يعرف يوماً الانتظار. مع كل التعب الذي أصاب جسده، فهو يستيقظ كل صباح كي يستقلّ الباص. في طريقه، نجده يمرّ بحي غرنيل، حيث الناس في حركة من غير توقف، ومن ثم شارع فوجيرارد، حتى محطة مونتبرناس، فحديقة لكسمبورغ، للتوقف أخيراً أمام السوربون، حيث سيمون يدرس الفلسفة، و يعدّ لتقديم الامتحانات الوطنية التي ستجعل منه أستاذًا إن نجح. مع الأسف، لم يكن يعرف بأنه في الليلة السابقة للامتحان، سيكتشف بأنه مريض بالسل الرئوي، وبأن والده سينقله لمصحّة حيث ستضيع سنون من حياته وهو قيد الانتظار.

هكذا تقريباً بدأ بول غادن روايته الأولى التي خطّها في ثلاثينات القرن الماضي، حتى تنشر في 1941. الهدف من الرواية هو أن يقول ما هو عليه، ولم يكن غادن ببعيد عن شخصية سيمون، فهو كذلك كان طالباً في السوربون، حتى أصبح أستاذ مدرسة لمدة عام، ثم مرض بمرض السل الرئوي فنقل لمصحة، وكتب هذه الرواية التي عنّونها «سلوان»، استلهاماً بالإنجيل الذي يذكر بركة سلوان الواقعة جنوب القدس، العين التي يتبرك بها ويستشفي منها كل مريض، ففيها ساعد عيسى ابن مريم في شفاء مريض أعمى. العين هنا ترمز للمصحة التي مكث بها الكاتب وبطل الرواية.

مشكلة غادن العميقة كانت تكمن في فهم واقع الانسان لما أبعد من الأحكام التي نطلقها حوله، ولما يظهر هو من أوجه شخصيته. كان غادن يريد ترجمة ما لا نستطيع فهمه، ومن ثم جعله واضح أمام أعيننا. لذلك ربما، وجد الانسان في أكثر أحواله شفافية عند المرض، حيث الموت أقرب اليه من الحياة.

لعل الحياة أوضح في العزلة. ولعّل في العزلة هداية إلى معنى أخلص للحياة. هكذا كان غادن يرى الأمور، لاسيما وأنه قرأ «الجبل السحري» لتوماس مان، حيث القصة تتكرر مع بطل الحكاية الذي يزور أحد أقاربه في مصح في دافوس على أساس أن يمكث ثلاثة أسابيع فقط، ولكنه يألف المكان، فيمكث ما يقارب السبع سنوات. هانز كاستروب وقع في حب طريقة حياة هؤلاء المرضى الذي يتميز كل واحد منهم بشخصية فريدة من نوعها، ويجمع ما بينهم شيء من وحدة المصير. أحبهم و أحبوه فقرر البقاء.

لم يخرج توماس مان بطله من المصح حتى بداية الحرب العالمية الثانية، لينهي الرواية بترك بطله وسط المعركة من غير مصير معروف.

هناك قصص أخرى تتناول ذات الحبكة، وكأنما لدى الانسان شعور ملازم بالاعتكاف بعيداً عن العالم وضوضائه، وكأنما في العزلة شفاء من الأمراض، واكتشاف للذات نحن بحاجة اليه. لا يعرف الانسان ما قد يصيبه. بالأمس فقط، كان يظنّ بأنه يملك الكرة الأرضية بكل ثرواتها، وحيواناتها، وبأن العالم كله مسخر له، وبأنه يفعل ما يريد وقتما يشاء، لو كان يعرف الحقيقة، لكان توقف للحظة وفكر أن في الراحة شفاء.

بطل بول غادن في رواية سلوان بقي على قيد الحياة، وخرج من المصحة لينضم لعامة الناس، و يشعر بطعم الحياة، على عكس كاتب الرواية، بول غادن، الذي أخذه المرض في العام 1956، تاركاً وراءه روايات عديدة تتناول ذات الحبكة، وكأنها تركت بمثابة تذكير لمن لا يعرف. في حين منح غادن بطله فرصة الحياة، حُرم هو منها في سن صغيرة.

واحة الفكر

اشتراكية الأعمال الخيرية: مقتطفات من كتاب (حول المسألة الاسكانية)

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

فريدريك انغلز

أثبت العلم الحديث بأن ما يسمى ب»الأحياء الفقيرة»، حيث تتواجد حشود العمال بكثافة، هي مصدر كل الأوبئة التي تضرب مدننا من حين إلى آخر. الكوليرا، والتايفوس، وحمى التيفوئيد، والجدري، وغيرها من الأوبئة؛ جميعها تنشر جراثيمها في الهواء الملوث والمياه الملوثة في أحياء الطبقة العاملة. في هذه الأحياء، نادراً ما تموت هذه الجراثيم بشكل كلي، وحالما تسمح الظروف، تتطور هذه الجراثيم إلى أوبئة وتنتشر بعيداً من مصدرها نحو المدن الأكثر صحية ذات الهواء النقي، التي يسكنها الرأسماليون. لا يمكن للحكم الرأسمالي أن يسمح لتفشي الوباء ضمن صفوف الطبقة العاملة دون أي فعل رادع، إذ أن آثار هذا الوباء ستصل إلى الرأسماليين وسيهبط ملاك الموت في صفوفهم بلا رحمة، مثلما حصل مع العمال تماماً.

حالما تتأكد هذه الحقيقة العلمية، يبدأ البورجوازيون في الأعمال الخيرية، وتجدهم يتنافسون بكل حماس على الأعمال النبيلة لصحة عمالهم. وحينها، تتشكل الجمعيات الخيرية، وتنشر الكتب، وترفع المقترحات، وتتشرع القوانين، لسد مصدر هذه الأوبئة التي تتفشى بشكل متكرر.

... إن جوهر الاشتراكية البورجوازية يكمن في طموحها في المحافظة على مصدر كل شرور المجتمع الحالي، وفي مثل الوقت تقضي على مظاهر هذه الشرور بحد ذاتها. ولقد أشرنا في (البيان الشيوعي) قديماً، بأن الاشتراكي البورجوازي «يريد تلطيف المشكلات الاجتماعية ليضمن ديمومة المجتمع البورجوازي»، أنه يريد «أن يبقي البورجوازية من دون أي بروليتاريا».

... كل من يقول بأن نمط الإنتاج الرأسمالي هو غير قابل للتدمير، وفي مثل الوقت يرغب في إلغاء آثاره غير الحميدة، ليس له أي حيلة سوى أن يقدم مواعظ أخلاقية للرأسماليين، مواعظ أخلاقية ذات آثار عاطفية تتبخر حالما تكون أمام المصلحة الذاتية، أو إن كان ضرورياً: أمام التنافس نفسه.

... إن كل ما يسمى بالاصلاحات الاجتماعية التي تهدف لتخفيض أسعار الوسائل المعيشية للعمال، إما ينتهي بها الأمر أن تتعمم وبالتالي يلحق هذا التعميم انخفاض عام في الأجور، وإما تبقى تجارب معزولة، بعد ذلك حقيقة أنها معزولة تثبت بأن تحققها في المجال الأوسع لا يتناسب مع نمط الإنتاج الرأسمالي القائم. لنفترض بأن في منطقة معينة تنجح تعاونية المستهلكين في تخفيض تكلفة المأكولات للعمال على نحو 20٪؛ على المدى البعيد، ستنخفض الأجور في هذه المنطقة أيضاً على نحو 20٪. إذا كان العامل، على سبيل المثال، يصرف ثلاثة ارباع أجوره الأسبوعية على المأكولات، فإن أجوره ستنخفض بقدر ثلاثة ارباع 20٪، ايّ 15٪.

... ليس حل المشكلات الاجتماعية هو الذي يصلح المجتمع، بل الحل الاجتماعي، أي تقويض النظام الرأسمالي، هو الذي يجعل من الممكن اصلاح المشكلات الاجتماعية. (...) ولكن في البداية، كل ثورة اجتماعية ستضطر أن تأخذ الأشياء كما تركت لها، وتقوم بأفضل ما لديها لتتخلص من كل الشرور عبر هذه الوسائل المتاحة لها. وكما رأينا، يُمكن حل قضية الشح الإسكاني عبر الإستيلاء مباشرة على المساكن المرفهة التابعة للطبقات المالكة وتسكين العمال في الجزء المتبقي.

... ليست الدولة سوى السلطة الجمعية المنظمة للطبقات المالكة، ملاك الأراضي والرأسماليين ضد الطبقات المستغَلة: العمال والفلاحين. ما لا يريده الرأسمالي (وفي هذه الحالة نذكر الرأسمالي فقط لأن مالك الأرض ايضاً يتصرف كرأسمالي) هو ما لا تريده الدولة.

.. هكذا تحل البورجوازية القضية الإسكانية في حقيقة الأمر. إن المناطق التي تتفشى فيها الأمراض، تلك الحفر سيئة الصيت والسراديب الضيقة التي يلقي فيها الرأسماليون عمالنا ليلة بعد ليلة، باقية ولا تتقوض ولكن يتم نقلها إلى مكان آخر! ومثل الضرورة الاقتصادية التي خلقتها في مكان واحد هنا، ستخلقها مرة اخرى هناك. طالما يبقى نمط الإنتاج الرأسمالي في الوجود، سيكون من الغباء أن نتمنى حلاً معزولاً للقضية الاسكانية أو أي قضية اجتماعية اخرى يعاني منها العمال. الحل الوحيد هو تقويض النظام الرأسمالي والإستيلاء على كل وسائل الحياة والعمل من قِبل الطبقة العاملة نفسها.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 150 ـ مايو 2020 السنة الثامنة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

لا تخبر الحب ما اسمك

مهدي سلمان

1.
أكتبُ في عينيكِ
بلغةٍ لا أعرفها، نصّاً لا أعرفُ كيفَ أوصّفهُ،
نصّاً لا أعرفُ من أينَ يجيءُ، وأين يغادرُ،
نصّاً يُمحى مع أولِ ضربةِ موجٍ
ويعودُ مع الضربات الأخرى، يتشكّل في مَهَلٍ..
ما شأنُ البحر بعينيكِ؟
ليزرقَّ متى ما أغمضتِ،
ويخضرّ إذا حدّقتِ بعينيَّ.

2.
لا تخبر الحبَ ما اسمك،
كن حذراً معه
قل له.. لم أر اسماً يناسبني قبل أن التقيك
وما دمت جئتَ فما حاجتي الآن لاسمٍ
يحاصرني
أنت يا حبُّ عرّفتني.

3.
– سأراكِ.
– لكن كيف؟ أنتَ خيالُ عاشقةٍ سواي،
وما أنا إلا اختبارك.
– سأراكِ.
– كن لي ما أريد؛ أعيد للمنسيِّ فيك هدوءه إذ
ينتظر.
– سأراكِ.
– لا تحلم..
– سأوقد ما تبقى من دمي، وأراك في التهويم.
– قلتُ كفى.
– إذن لا تسأليني؛ كي أصدّ عن الإجابة.
– ...
– سأراكِ.
– لن تفعل.

ستنسى صورتي وترى خلالي
ستظنني غيري،
وحين أجيء لن يجديك أنك
ما انتبهت إلى سؤالي.
وأنا أراك، أنا التي حقاً رأيتك
ثم قلتُ بصوت عاشقة (تُرى، ماللغريب،
وما لهذا الخفق في روحي، ومالي؟!).

4.
تركتُ على عتبة الحب
خوفي من الحب
ثم انزويتُ أراقبه، من يمرّ
ويأخذه؟
مرّ وقتٌ طويلٌ عليه، طويلُ
ولا ظلّ من خلفه
كان وقتاً كئيباً يقودُ شياه
الثواني الصغار
إلى بركة العدم المتلألئ، لم يره
مرّ من جنبه، ومضى، وبكى الخوف في
وحشة..
وبكيت على إثره.

ومضى فيه بعض المحبين، تشبك أيديهم
الناعماتُ أصابعَ بعضٍ، ويخفق بينهمُ قلب
واحدهم،
للمحبين كل المحبين قلب وحيدٌ
وكل محب يكاد يظن الذي بين أضلاعه قلبه.
وما انتبهوا للقيط على عتبة الحب..
كان عمى العشق يأخذهم.. صرخ الخوف،
لكنهم رحلوا، تركوا في المكان هواءً، ورائحةً
تشبه الطلَّ في آخر الليل.. فالتمعت نجمةٌ
وصمتنا معاً، أنا والخوف.

مرّ الظلام على مهله، ساقطاً مثل ريش النهار
على الأرض حتى أصاب بمهبطه كل شيءٍ عدا
خوفنا الطفل. نور خفيف يشعّ على وجهه،
والمحيط ظلام.
وأظن رأى الخوفُ هذا الظلامَ الذي يتقطرّ من
حوله نقطة نقطة ثم نام.

فرجعت إليه، وقمطته بالقصائد، هدهدته
بين يأسي ويأسي، وعدت به قافلاً نحو خيط
الصدى..
يتردد، يهتزّ، حين يرجُّ السكوتُ الكلام.